العقيدة أولاً

لو كانوا يعلمون

[١]

الطّبعَة الأولى
١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م

مكتبة الغرباء
الأردن ـ عمان
ت: ٠٧٩٥١٨٤٠٥٠

الدار الأثرية
الأردن ـ عمان
ت: ٠٧٩٥٩٤٣٤٥٦

مكتبة الإمام الذهبي
الإمارات ـ أبو ظبي
ت: ٠٠٩٧١٥٠٦٨٢٠٢١٢

العقيدة أولاً

لو كانوا يعلمون

مجموعةٌ من الخطبِ والمواعظِ في العقيدةِ
نصحني بها وأَمرني بطباعتِها
والدي وأستاذي وشيخي

محمدُ ناصرِ الدين الألباني

رحمه الله تعالى

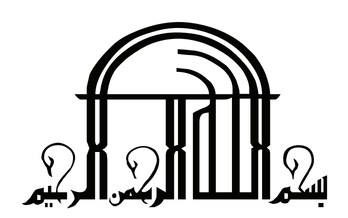
حَضَرَها وقَرَأها وقدّم لها فضيلةُ الشيخِ
مشهورُ بنُ حسنِ آل سلمان ـ حفظه اللهُ

أعدَّها

«أبو إسلام»
صالح بن طه عبد الواحد
إِمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن
الأردن ـ عمان
ت: ٠٠٩٦٢٦٤٧٨٥٦٩٩

المجلد الأول

[الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله]



هذه الطبعة

تمتاز بما يلي:

- تخريج الأحاديث تخريجاً علمياً.
- نقل النصوص من مصادرها الأصلية.
- تصحيح بعض الأخطاء في الطبعة الأولى.
- وضع كلمة نافعة **للشيخ الألباني** ـ رحمه الله ـ في المجلد الأول بعنوان: **التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام**.
- وضع فهارس عامة للكتاب في المجلد الأخير.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تقديم
الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان

إنّ الحمدَ لله، نحمده، ونستعينه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله؛ أما بعد:

فإنّ الله ﷻ خلقَ الزمان والمكان والإنسان واختار، ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ﴾ [القصص: ٦٨]، خلق الزمان، واختار منه الجمعة، وخلق الإنسان، واختار الأنبياء عليهم السلام، واختار من الأنبياء الرسل، واختار من الرسل أولي العزم، واختار من أولي العزم محمداً ﷺ، وجعل له ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ ورثة، وورثته هم معلّمو الناس الخير.

ومن أهم الوسائل التي قصّر فيها طلبة العلم ـ إلا من رحم الله ـ في نشر العلم الشرعي (خطبة الجمعة)، فهي وسيلة؛ بل غاية وطاعة، قلَّ من يعطيها حقَّها، وينزِلُها منزلتها اللائقة بها.

فكثيراً ما يشعر السامع أن الخطيب يلقي الكلام على عواهنه، ويكون وليد لحظته، دون تزوير ـ فضلاً عن تحضير ـ له، وبعضهم يعمل على تزويق الألفاظ واختيار الغريب، وتضيع المعاني وراء المباني، ولا يدري السامع (المسكين) ماذا يريد هذا ولا ذاك؟!

وهنالك صنف آخر، يظن سامعه أنه ليس في بيت من بيوت الله؛ بل تكاد لا تميز ألفاظه من ألفاظ (الساسة)؛ إذ لا (ذكر لله) ﷻ في كلامه، فلا تجري آية كريمة ولا حديث شريف على لسانه في معرض الاستدلال، ولماذا

يفعل ذلك؟! والموضوع الذي اختاره هذا الخطيب (المسكين) مبناه على الظن والتخمين[(١)] وهو قائم على (التهييج)، لا على (التأسيس) و(التأصيل).

وهناك فريق رابع ـ وهو الأخير ـ من الخطباء[(٢)]، وهو: من لا يراعي مشاعر الناس، ولا يلتفت إلى ما يجري حواليه، فهو وإن قال الحقَّ، إلا أنّه لم يصنع العدل[(٣)].

ومن بين الخطباء الذين (أسَّسوا) و(أصّلوا)، وعملوا على (المواءمة) بين (المباني) و(المعاني)، وأكثروا من الاستدلال بنصوص الوحيين الشريفين، بأسلوب حَسَن سهل، وغَيْرَة ظاهرة على الشرع، غير ناسبين مشاعر الناس، ولا متعدّين على (الثوابت) والعاملين على ضبط (العواطف) عند (الفتن العواصف) ـ أخونا الشيخ الفاضل الصّديق أبو إسلام صالح طه ـ حفظه الله، خطيب وإمام مسجد إبراهيم الحاج حسن ـ رحمه الله تعالى ـ.

---

(١) الخطيب الموفّق يكون مدار كلامه في دائرة (اليقين) معتمداً على الأصول الشرعية التي تخص الحادثة والواقعة التي يعمل على معالجتها، والله الموفق.

(٢) أعني غير الموفَّقين منهم.

(٣) الخطيب الموفَّق يوظف (الشارع) لتأصيلٍ شرعيٍّ فيما يخص (الحدث) القائم، فهو يتكلم في دائرة (اليقين) من خلال النصوص، فيمهد ـ مثلاً ـ لنكسة أو عدم تحقق (نصر) يتعجّله (المتحمِّسون) بكلامه عن (معركة أُحد) ـ مثلاً ـ وبتواطؤ الكفار واجتماعهم على (الموحِّدين) بكلامه عن (معركة الخندق) ـ مثلاً ـ وهكذا، والله المسدّد والموعد.

وأجاب العز بن عبد السلام في «فتاويه» (ص٧٦ ـ دار المعرفة): عن حكم ذكر الخطيب على المنبر في الجمعة ما يجري ويحدث؟ فقال: «ولا ينبغي للخطيب أن يذكر في الخطبة إلا ما كان يوافق مقاصدها من الثناء والدعاء والترغيب والترهيب بذكر الوعد والوعيد، وكل ما يحث على طاعة أو يزجر عن معصية، وكذلك تلاوة القرآن»، وقال أيضاً: «ولو حدث بالمسلمين حادثٌ، فلا بأس بالتحدّث فيما يتعلّق بذلك الحادث مما حثّ الشرع عليه، وندب إليه، كعدّو يحضر، ويحث الخطيب على جهاده والتأهب للقائه..».

ومن توفيق الله ـ جلّ ثناؤه ـ له ـ فضلاً عمّا سلف ـ حسن اختيار موضوع الخطبة، وبين يديك ـ أخي القارئ ـ جملة من الخطب[(١)] المؤثّرة في الإحساس، الموظفة له بتحريكه إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، ألقاها على التتالي، شأن الخير فإنه عادة[(٢)]، وقليله يدعو إلى كثيره، ومن سنّة الله فيه أنه يثبت ويستقرّ ويستمر، ومن ثمار ذلك: هذا العمل، فالخطب التي ألقيت كانت من نصيب (الآذان)، واستقرت ـ إن شاء الله تعالى ـ يشيع ويذيع لجميع المنتفعين، وهو يسدّ نقصاً في المكتبة الإسلامية؛ إذ العناية بـ(خطب الجمعة) ـ تأصيلاً وتمثيلاً ـ ليس كما ينبغي، وقلّ أن يجد غيرُ المتمكن مادةً تعينه على ذلك، أو تغنيه.

وأخيراً.. فنصيحتي لأخي المؤلف الشيخ أبي إسلام حفظه الله ورعاه، أن يبقى مستمراً مستقراً على هذا المنهج في الإلقاء، مستحضراً الإخلاص متوجّهاً إلى الله ﷻ بأن ينفع به في أوقات استجابة الدعاء، وأن يكتب إرشادات ونصائح للخطباء، وأن يعقد دورات علميّة عملية في فنِّ (الخطبة) و(الأداء)، ونفع الله به وبكتابه وذريته هذا في الدّارين، وجعلنا وإياه من أئمة الهدى، وجنّبنا الهوى وركوب ما لا يُرتضى، وصلّى الله على محمد وآله وصحبه وسلّم.

وكتبه

أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان

بعد ظهر يوم الثلاثاء الثاني والعشرون من رجب المحرم سنة ١٤٢٤ هـ

عمان ـ الأردن

---

(١) وهي في ثلاث مجموعات، على النحو التالي:

ـ المجموعة الأولى، بعنوان **(العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون)**، وهي عبارة عن (٢٣٤) خطبة، في أربعة مجلدات.

ـ المجموعة الثانية، بعنوان **(ثمرات الإيمان ـ مواقف إيمانية)**، وهي عبارة عن (٤٠) خطبة، في مجلد واحد.

ـ المجموعة الثالثة، بعنوان **(الدعاء من الكتاب والسنّة)**، وهي عبارة عن (٤٥) خطبة، في مجلد واحد.

(٢) أما الشر فإنه لجاجة، وهو خفيف وبيء، والخير ثقيل مريء.

مقدّمة المؤلف

إنَّ الحمدَ للَّهِ، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ باللَّهِ مِنْ شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، مَنْ يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هاديَ له.

وأشهد أَن لا إله إلَّا الله وحدَه لا شريك له، وأشهد أنَّ محمداً عبده ورسوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإنَّ أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدْيُ محمدٍ ﷺ، وشرَّ الأمور محدثاتها، وكلَّ محدثةٍ بدعةٌ، وكلَّ بدعةٍ ضلالةٌ، وكلَّ ضلالةٍ في النار.

إذا نظر المسلمُ في كتاب الله مِنْ أوّله إلى آخره وَجَدَ أنَّ الأنبياء جميعاً، من نوح عليه السلام إلى محمدٍ ﷺ، اهتموا بالعقيدة اهتماماً كبيراً، وَأَوْلَوْها عناية فائقةً وبدؤوا بها في دعوتهم، فجميعهم قال: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۚ﴾ [الأعراف: ٥٩].

ولقد فكّرت كثيراً في هذا الأَمر، ووجدتُ أَنَّ سعادة العَبْدِ في الدنيا والآخرة تتوقف على العقيدة الصحيحة، وأنَّ شقاءَ العبدِ في الدنيا والآخرة يكون بسبب فساد عقيدته. ووجدتُ أيضاً أَنَّ الأمة الإسلامية لا تتحد،

ولا تجتمع، ولا تنتصر على أعدائها إلَّا بالعقيدة الصحيحة، ووجدت أنَّ ما أصابَ الأمة الإسلامية مِنْ ذلٍّ وهوانٍ، وضعفٍ وفقرٍ وتفرُّقٍ... كلُّه بسبب فساد العقيدة، ولذلك قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١، ٣٢].

كذلك كنت مِنْ خلال عملي في الدعوة إلى الله أهتم بالعقيدة الصحيحة في خطب الجمعة وفي دروسي على مدار الأسبوع ـ ولله الحمد ـ.

وكنت دائماً أفكر في إلقاء سلسلةٍ مِن خطب الجمعة في العقيدة من أوَّلها إلى آخرها، ولكني كنت أتراجع، وأتوقف لأنَّ الكلام في العقيدة وحدَها على المنبر صعبٌ وثقيل على أمثالي وعلى عامة الناس، ومع هذا كلِّه فإنَّ الموضوع ظل يَشْغَلُني ويأخذُ جانباً كبيراً من تفكيري واهتمامي.

وفي يوم من الأيام شرح الله صدري لهذا الموضوع، فاستخرتُ الله ﷻ ـ كما علّمنا النبيُّ ﷺ ـ والتجأتُ إلى الله وحدَه في دعائي أسأله التوفيق والسداد، ثم ذهبت بعد صلاة الفجر يوماً إلى شيخي وأستاذي ووالدي محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله أستشيره في هذا الأمر، كعادتي دائماً أستشيره في كلِّ أموري الدينية والدنيوية.

وعندما دخلت عليه في مكتبته، وذكرت له أنني أريدُ أن أَخطب في سلسلةٍ في مسائل العقيدة كاملةً، فقال لي بالحرف الواحد: (تعلم يا أَبا إسلام أنَّ الاهتمام بالعقيدة أَمرٌ مهمٌّ جداً، وهذا هو منهج الأنبياء في دعوتهم، كما أخبرنا ربُّنا ـ جل وعلا ـ في كتابه، ولكنَّ الكلام في مسائل العقيدة فقط مِنْ أوَّلها إلىٰ آخرها على المنبر مِنْ خلال خطب الجمعة صعبٌ وثقيل؛ لأنهُ في خطبة الجمعة يحضر العاميُّ، ونصف العامي، والمتعلم، والجاهل، وطالب العلم، والعالم، والصغير والكبير... ولكنْ إذا بسَّط الخطيب وسهَّل، وقدَّم الموضوع بأسلوب سهل يفهمه الجميع.. فيجوز للخطيب أنْ يُقْدِم على هذا الموضوع، وعليك يا أَبا إسلام لا

نخاف.. فتوكّل على الله، وابدأ بهذا الموضوع، وأَعدَّ له العُدّة، ونحن نمدُّك بالدعاء بظهر الغيب أن يوفّقك الله).

فانشرح صدري لكلام الشيخ، وقويت همتي ورجعت إلى منزلي وبدأت في جمع المراجع من هنا وهناك، ثم وضعت عنواناً كلّياً لهذه السلسلة، وهو:

العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون

ثمّ وضعت خطتي للمباشرة في هذه الخطب على النحو التالي:

مقدّمة: وتتضمن الإجابة على السؤال: لماذا العقيدة أولاً؟.

وكان الجواب على هذا السؤال في خمس خطب.

ثم تكلمت عن أصول العقيدة الستة وهي: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره؛ بشيءٍ من التفصيل في سائر الخطب.

وكنت إذا وضعت عنواناً للخطبة أستخير الله أولاً فيه، ثم أتّصل بالشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ هاتفياً أستشيره في عنوان الخطبة وعناصرها، فكان رَحِمَهُ اللَّهُ ينصحني ويوجّهني ويدعو الله لي بالتوفيق والسّداد، فجزاه الله عنّي وعن المسلمين خير الجزاء، وجعل ذلك في ميزان حسناته يوم القيامة.

وبدأت متوكلاً على الله ـ في إلقاء خطب العقيدة، ومِنْ فضل الله عليَّ وعلى الناس أجمعين، أني وجدت إقبالاً كبيراً من الناس على سماع هذه الخطب، والإفادة منها، وكان الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ يتابع أخباري ويحضرُ عندي أحياناً، ويسأل عنّي وعن موضوع الخطب على وجه الخصوص.. وكنت إذا أخبرته بما مَنَّ الله به عَلَيَّ من إقبال الناس على هذه الخطب يقول: (الحمدُ للَّهِ والفضل كلُّه للَّهِ).

ومرت الأيام والأشهر والأعوام وإقبال الناس على سماع خطب العقيدة يزداد يوماً بعد يوم.. والأشرطة المسجلة لهذه الخطب تنتشر بَيْن طلاب العلم والخطباء في كل مكان..

وكان أَنْ طلب مني بعض الإخوة الأفاضل أن تطبع الخطب التي أَلقيتها في كتاب حتى ينتفع بها طلاب العلم والخطباء ـ في شتّى الأنحاء ـ، ولكنني رفضت هذا الطلب بشدةٍ في بداية الأَمر لأنني لست أهلاً لذلك.. ولكن بعد إلحاح الإخوة عليَّ في هذا الموضوع استخرتُ الله ثم ذهبت ـ كعادتي ـ إلى شيخي ووالدي محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ أستشيره في شأن طباعة هذه الخطب، فقال رَحِمَهُ اللهُ: (هذا أمرٌ جيِّدٌ، وأَنا أنصحك أن تقوم بطباعة هذه الخطب؛ بل يجبُ عليك ذلك؛ لأنَّ أَمر العقيدة أمرٌ مهمٌّ جداً ويجبُ على جميع الدعاة أن يهتمّوا به، وفي طباعتك لهذا الكتاب نشرٌ للعقيدة الصحيحة وتعاونٌ منك على البرِّ والتقوىٰ.. فتوكل على الله)... ثم قال لي: (تقابل ما ذكرت في الخطبة على المنبر مع ما كتبت في دفترك ثم تكتب أحسنَ ما خطبت وما كتبت).

فقامت زوجتي أمُّ إسلام ـ حفظها الله من كل سوءٍ ـ بتفريغ الخطب من الأشرطة ثم قامت بمقابلتها بما كتبته أنا أصلاً لهذه الخطب، ونَقَلَتِ الأدلّة من مصادرها وبَذَلَتْ في ذلك جهداً كبيراً لا يعلمه إلَّا الله؛ نسأل الله العظيم أن يجعل ذلك في ميزان حسناتها.

وبينما كنت أخطبُ في الأصل الخامس مِنْ أُصول العقيدة، وهو الإيمان باليوم الآخر، وكان شيخنا رَحِمَهُ اللهُ مريضاً ذهبت لزيارته في بيته، فسألني عن حالي وعن أولادي، ثم سألني ـ كعادته ـ عن موضوع خطب العقيدة، فذكرتُ له أنني لا زلت أخطب فيها، ولا زالت زوجتي تقوم بتفريغ الخطب من الأشرطة، وكان هذا بعد مرور أربع سنواتٍ أو يزيد مِنْ بداية حديثي في سلسلة العقيدة.

وفي هذا المجلس قلت: (يا شيخنا.. مِنْ بركة العلم أَن يُنْسَبَ إلى أهله، وأنت صاحب الفضل عليَّ في هذه الخطب بعد الله عَزَّ وَجَلَّ، فلو كتبت لي كلمةً تبيِّنُ فيها أنني استشرتك في هذه الخطب بعد أن استخرتُ الله عَزَّ وَجَلَّ واستشرتك في طباعتها فأشرت عَليَّ بذلك).

فقال لي رَحِمَهُ اللهُ: (أَنا الآن مريض جداً كما ترىٰ ولا أستطيع الكتابة ولكني أسمح لك أَن تكتب ذلك في مقدمة الكتاب، وأنْ تذكر ذلك على غلافه الخارجي لننتفع بدعوة رجلٍ صالحٍ ينتفع بالكتاب).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: (أسأل الله أَن ينفع بكتابك هذا المسلمين وطلاب العلم في كلِّ مكان، وأَن يكتب له القَبول في الأَرض، فقلت: آمين، وأَمَّنَ معي بعض أَولاده، وبعض الإخوة الذين ذهبوا معي).

ومرت الأيام.. واشتدَّ المرضُ بالشيخ... ثم نزل به رَحِمَهُ اللهُ ما ينزل بكلِّ حيٍّ وهو الموت.. وانتقل إلى الدار الآخرة، أسألُ الله أَن يرحمه رحمةً واسعة، وأن يجعلَ مأواه الجنة.

وفي الجمعة التي تلت يوم وفاة الشيخ توقفت عن الكلام في سلسلة العقيدة، وخطبت يومها خطبةً عنوانُها: «**وإنّا على فراقك يا ناصر الدين لمحزونون**»، تكلمت فيها عن مكانة الشيخ، ومنزلته العلمية، ومصيبة الأمة بموته، وأَثر فَقْدِه على طلابه ومحبّيه؛ بل على الناس أجمعين...

ثم عدتُ في الجمعة التي تليها إلى الكلام في سلسلة العقيدة متابعاً ما كنت بدأته من الحديث في الأصل الخامس مِنْ أصول العقيدة، وهو الإيمان باليوم الآخر.

وبعدما يقرَبُ مِنْ ستة أشهر مِنْ موت الشيخ رَحِمَهُ اللهُ انتهَيت مِن الحديث في سلسلة العقيدة، وبعد أنْ قمت بتفريغها من الأشرطة التي سُجّلت عليها ومقابلتها مع الأصل المكتوب.

تلك كانت قصةَ هذا الكتاب، الذي أصلُه مجموعةٌ من الخطب في العقيدة ألقيتها على مدار سنوات خمس متصلات في مسجد إبراهيم الحاج حسن، عمان ـ الأردن.

وإنْ يكن مِنْ فضل لأَحدٍ بعدَ الله عَزَّ وَجَلَّ في هذه الخطب، فهو لشيخي ووالدي وأستاذي الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ اللهُ، فما هذه

الخطب إلَّا ثمرةً يانعةً من ثمرات جهود الشيخ وعنايته ونصائحه التي كان يُتحفنا بها مدَّة وجوده معنا ـ ووجودنا معه ـ في الأردن.

فما كان مِنْ توفيقٍ في هذه الخطب، وسدادٍ في القول فيها، فالفضلُ فيه كلُّه لله وحدَه، ثم لشيخي وأستاذي ووالدي الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

ولمَّا كنا بشراً نخطئ ونصيب، فما كان فيها مِنْ خطأ فمني ومن الشيطان، وأنا تائبٌ إلى الله عَزَّ وَجَلَّ منه، والشيخ الألباني مِنْ هذا الخطأ بريءٌ، وصدورنا واسعةٌ لقبول نصح الناصحين في الله.

وإنْ يكن لي مِنْ طلب ورجاء من إخواني الذين ينتفعون بهذا الكتاب أن يدعوا لي ولشيخي الألباني ـ ولأهل بيتي كافّةً ـ، وجميع مَنْ ساهم في إخراج هذا الكتاب.

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب جميع المسلمين في بقاع الدنيا عامَّةً، وطلاب العلم خاصَّةً، وأن يضع له القبول في الأرض، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، أجدُ ثوابه عند الله يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلَّا مَنْ أتى الله بقلبٍ سليمٍ.

وكتبه

«أبو إسلام»

صالح بن طـٰه عبد الواحد

إِمام وخطيب مسجد إبراهيم الحاج حسن

عمان ـ الأردن

سنة ١٤٢٤ هـ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

كلمة حقٍّ بيْن يدي الكتاب

يقول ﷺ: «مَنْ لم يشكُرِ الناسَ، لم يشكُرِ اللَّهَ»[1].

فما أنا فيه مِنْ نعمةٍ في ديني، ودنيايَ ودروسي وخطبي، فالفضل فيه كلُّه للَّهِ وحدَه أولاً وآخراً، ثم: للشيخ الوالد محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وللشيخ عبد العظيم بن بدوي الخلفي حفظه الله.

وشكراً لهما، ووفاءً بفضلهما عليَّ ـ بعد الله عَزَّ وَجَلَّ ـ أردت أَن أشير إلى شيءٍ مما نفعني الله به منهما:

أولاً: بالنسبة للشيخ الوالد محمد ناصر الدين الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

مِنْ فضل الله عليَّ أنني كنت قريباً جداً منه حيث كنت أتّصل به في أَيِّ وقت هاتفياً، وأذهب إليه في بيته في أي وقت دُوْنَ مَوْعِدٍ مسبقٍ، وما قال لي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوماً: أنا مشغول... والقاصي والداني يعلم ذلك جيداً.. وبسبب هذا القرب من الشيخ، فإنني قد انتفعت أنا وأهل بيتي من الشيخ بما يلي:

١ ـ الإخلاص:

فقد كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يهربُ مِنْ حُبِّ الظهور، وتصدُّر المجالس، وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: (حبُّ الظهور يقصم الظهور)، وقلتُ أمامه يوماً يا شيخنا: (الإخلاصُ هو سِرُّ النجاح) فقال لي: (أَحسنت يا أبا إسلام).

ومما يذكر في هذا: أن رجلاً دعا الشيخ يوماً لزيارته في بيته وأعلن عن

---

(١) صحيح: د: (٤٨١١)، ت: (١٩٥٥)، حم: (٢/٢٥٨)، خد: (٢١٨)، [«ص.ج» (٦٥٤١)].

هذه الزيارة في بعض وسائل الإعلام، فاجتمع عددٌ كبيرٌ مِن الناس، لرؤية الشيخ والاستماع له، فلما علم الشيخ بذلك رفض الذهاب إلى تلك الدعوة، ولما سألته بعدَ ذلك عن سبب عدم ذهابه قال: (حُبُّ الظهور يقصم الظهور).

فأين نحن ـ يا طلاب العلم ـ من الإخلاص.. فإيَّاكم وحبَّ الظهور وتصدُّر المجالس، فالإخلاص ـ يا طلاب العلم ـ هو سرُّ النجاح، واعلموا أنَّ الناس لن يُغْنوا عنكم من الله شيئاً.

٢ ـ الأَمانة في الاستشارة:

كان الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أَميناً فيما يُسْتَشَار فيه.. عملاً بقول النبيّ ﷺ: «**المستشار مؤتمن**»[(١)].

وكان مِنْ فضل الله عليَّ أَنني كنت أستشيره في كلِّ أَمْرٍ مِنْ أموري الدينية والدنيوية بعد أَن أستخير الله عَزَّ وَجَلَّ، وما أَشار عليَّ بأمرٍ إلَّا كان فيه الخيرُ الكثير عليَّ وعلى أهل بيتي وعلى إخواني طلاب العلم.

ومِنَ الأمور التي كنت استشرته فيها فوجدت فيها خيراً كثيراً:

* سلسلة خطب العقيدة، هذه التي بَيْن يديك.

* بقائي للعمل في الدعوة في الأردن، فقد استشرته رَحِمَهُ ٱللَّهُ في بقائي في الأردن، فأشار عليَّ بالبقاء ورغَّبني في ذلك، بعدَ أنْ ذكَّرني بالأحاديث التي جاءَت في فضل بلاد الشام، وكان هذا بعدَ أَن طلب مني بعض المحبين والناصحين أنْ أَعود للدعوة في بلدي مصر... فأخذت بمشورة شيخي الألباني وبقيت إلى الآن في الأردن، وكان في بقائي ـ بفضل الله ـ الخير العميم عليَّ وعلى إخواني مِنْ طلاب العلم، وهذا الخير لا يخفىٰ علىٰ أحد، والحمدُ لله على فضله وتوفيقه.

* دروسي التي بدأتها قبل ثلاث سنوات، وهي: دَرْسُ التفسير،

---

(١) صحيح: د: (٥١٢٨)، ت: (٢٨٢٢)، هـ: (٣٧٤٥)، حم: (٥/ ٢٧٤)، [«ص.ج» (٦٧٠٠)].

والحديث يومَ الجمعة، ودرس الفقه مِنْ شرح بلوغ المرام يوم الأحد، ودرس العقيدة مِنْ كتاب شرح العقيدة الطحاوية يوم الثلاثاء، ودرس أصول الفقه يوم الأربعاء...

وهذه الدروس جميعها كنت استشرت الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيها فأشار عليَّ بها، وكنت أتصل به دائماً أسأله عما أشكل عليَّ في ما يَعْرِضُ لي مِنْ مسائل... فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحل ما أشكل عليَّ بكلمةٍ واحدةٍ، مما أنعم الله عليه مِنَ الفقه في الدين... سائلاً الله ـ جلَّ وعلا ـ أن يجعل ذلك كله في ميزان حسناته.

ولا زالت هذه الدروس قائمة حتى كتابة هذه المقدمة في مسجدي المذكور آنفاً.

❊ إرسال أولادي الثلاثة إسلام صالح، وعبد العظيم صالح، وأحمد صالح ـ حفظهم الله ـ إلى مِصْر للدراسة عند أَخي وقرَّة عيني وأستاذي الشيخ عبد العظيم بدوي حفظه الله. استشرت الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يوماً في إخراج أولادي من المدرسة بعد أن حفظوا القرآن على يديَّ ويدي والدتهم ـ حفظها الله ـ وإرسالهم إلى مصْر لطلب العلم عند الشيخ عبد العظيم فأشار عليَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقال: (نعم... افْعَل، فإنَّ الأخ عبد العظيم مِنْ إخواننا أصحاب العقيدة السلفية الصحيحة وهو على المنهج الصحيح، وننصح إخواننا الذين يتمكنون من حضور دروسه أن يحافظوا عليها)، وكان فيما أشار به عليَّ الخير الكثير لأوْلادي، فهم الآن عند الأخ عبد العظيم في مصر على درجة جيدةٍ من الانتفاع بالعلم، نسأل الله أن يحفظهم وأن يجعلهم في ميزان حسنات شيخيَّ الفاضلين الشيخ الألباني والشيخ عبد العظيم.

❊ ومن الأمور التي استشرته فيها قبل موته رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيع مكتبتي التجارية، فذهبت يوماً إلى منزله فوجدت عنده الأخ الشيخ علي الحلبي ـ حفظه الله ـ، وكنت كثيراً ما أجده عند الشيخ، فقلت له: يا شيخنا،

أُريد أَن أبيع مكتبتي التجارية التي تعرفها، فسكت قليلاً، ثم قال: (لا، لا تبْعها، أَمسكْها، فهي سبب رزقك، وهي وسيلة لنشر الدعوة الصحيحة حيث إنك تبيع فيها الكتب التي تساهم في معرفة العقيدة الصحيحة، والمنهج السليم).

فقال الأخ علي الحلبي: (وأنا أؤيِّد رأي الشيخ في عدم بيع المكتبة).

ثم قام الشيخ إلى غرفة نومه ليستريح، وبعد دقائق أرسلَ إليَّ ولدَهُ يقول لي: الشيخ يطلبك يا أبا إسلام، فذهبت إليه فأجلسني بجواره ثم قال لي: (لا تبع المكتبة، وإذا كنت بحاجةٍ إلى مالٍ فأنا أقرضك قرضاً تردّه إليَّ عند استطاعتك)، فقبَّلتُ رأسه وقلت له: جزاك الله خيراً، المسألة ليست متعلقةً بالمال وإنما تتعلَّقُ بالوقت، فقال لي: (أعطِ للمكتبة شيئاً مِنْ وقتك...) فأخذت بمشورته رَحِمَهُ اللهُ وعدلت عن بيعها، فقدَّر الله في ذلك خيراً كثيراً، والحمدُ للَّهِ على فضلهِ.

٣ ـ الدقة في المواعيد:

كان الشيخ رَحِمَهُ اللهُ يُرَبِّينا على الدقة في المواعيد، ومِنْ أَمثلة ذلك أَنني كنت إذا دعوته إلى زيارتي أو صحبته إلى دعوة كان رَحِمَهُ اللهُ لا يتأخر ولا يتقدَّم عن الموعد المضروب له ويقول: (الذهاب قبل الموعد كالتأخر عن الموعد، فالتأخر عن الموعد يضر بصاحب الدعوة والمدعوين، والتقدم على الموعد يُرْبك صاحب الدعوة)، وحَدَث أَن دعوته يوماً عندي الساعة الواحدة ظهراً فوصل بسيارته قبل الموعد بربع ساعة فبقي في سيارته جالساً ولم ينزل حتى حان الموعد... ولم أكن أعلم بوجود الشيخ إلَّا أنَّ الذين كانوا برفقة الشيخ ذكروا لي ذلك، فلما سألتُ الشيخ عن ذلك قال: (لأنك قبل الموعد تكون مشغولاً بالاستعداد لاستقبال الضيوف في الموعد المحدَّد.. فإذا دخلنا عليك قبل الموعد شغلناك عما أَنت فيه مِنْ استعداد وتجهيز لاستقبال ضيوفك...).

فرحم الله شيخنا.. ما أَدق فقهه! وما أَشدَّ حرصه على العمل بسنّة رسول الله ﷺ!

وكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا دُعِيَ لا يأخذ أَحداً معه حتى يستأذن له صاحبَ الدعوة، وذاتَ مرَّةٍ دعوته قائلاً: يا شيخنا، أدعوكم للغداء عندي غداً، وأنا أقصد دعوته هو وزوجته أمُّ الفضل، وفي اليوم الثاني جاء في الموعد وحدَه، فقلت له: أَين أمُّ الفضل؟ فقال: (أنت لم تذكر لي أَن أُحضر أم الفضل معي، ونحن نلتزم الدقة في الكلام).

٤ ـ الحرص على الأوقات واغتنامها:

كان رَحِمَهُ ٱللَّهُ لا يضيِّع دقيقةً مِنْ وقته دون استفادةٍ منها، وكنا إذا دخلنا عليه في مكتبته لا يرفع رأسه عن الكتاب إلَّا بعد أن ندخل عليه ونقول: السلام عليكم ورحمة الله، فيردُّ علينا السلام ويصافحنا، فإذا جلسنا رَحَّبَ بنا، ثم طلب منا أَن نبدأَ بالأسئلة التي نريد طرحها، وهو يجيب عليها، فإذا انتهت أسئلتنا قال لنا: (انصرفوا...) فإذا انصرفنا عاود النظر في كتابه الذي كان بين يديه.

وكذلك إذا كنا معه في سيارته كان يطلب منا استغلال الوقت في الأسئلة وكان يجيب على أسئلتنا، وينصح، ويُوَجِّه...

٥ ـ العمل بالعلم:

فالعمل هو ثمرة العلم، وكان شيخنا رَحِمَهُ ٱللَّهُ يُعَلِّمنا العمل بالعلم دون كثير كلام، فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يحافظ على صيام النوافل حتى بعدَ سنِّ الثمانين مِنْ عمره، فكنا نذهب لزيارته في بيته.. أو نخرج معه إلى البَرّ ونفاجأ بصيام الشيخ، الاثنين والخميس.. في حين أن كثيراً منا ـ ونحن في سن الشباب ـ لم يكن صائماً، فكان يقول بعضنا للآخر: الشيخ في هذه السن يحافظ على الصيام ويغتنم أيامه، ونحن ـ معشر الشباب ـ نضيِّع أيامنا.. فكنا نعود من رحلتنا مع الشيخ وقد قويت عزائمنا على المحافظة على صيام النوافل.

وهكذا ينفع الله بصحبة العلماء.. فهم كالغيث أينما نزل نَفَعَ.

وسمعته يوماً يقول: (أَخذتُ على نفسي أَلَّا أُخالف بفعلي قولي، واستفدت ذلك مِنْ قول نبيّ الله شعيب عليه السلام: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨]).

وما علمنا سنّةً عن رسول الله ﷺ إلَّا وهو يعمل بها، ويدعو إليها، حتى إننا كنا معه يوماً في أحد المساجد وهو جالسٌ يدرّسُ، فدخل ضابط شُرطة ووقف يصلي بدون سترة فقطع الشيخ الدرس ونادىٰ الشُّرطيَّ قائلاً له: (يا شرطيُّ استتر)، فتقدّم الشُّرطي إلى السارية ليتخذها سترةً، وبعد فراغه من صلاته شكر الشيخ.

٦ ـ مراعاة الحكمة في النصيحة:

كان رحمه الله حكيماً في نصحه.. يُنْزِل الناسَ منازلَهم، وقد حَضَر عندي يوماً خطبة الجمعة، وكنت لا أعلم بوجوده، فَسَبق لساني بكلمة وأنا على المنبر لا دليلَ عليها من السنّة، وبعد الصلاة فوجئت بوجود الشيخ، وطلب أن يزورني، فرحّبت به، وجلسنا في البيت، وأخذ الإخوة من طلاب العلم يسألونه وهو يجيب، ثم قال لي: (يا أبا إسلام.. ذكرت جملة كذا على المنبر وأنا لا أعلم دليلاً عليها، فهلَّا أعلمتنا يا أبا إسلام بدليلها لنستفيد منك) ـ فانظروا ـ أيها الإخوة ـ إلى حكمة الشيخ في إسداء النصح دون تجريح ...ـ، فقلت له: (يا شيخنا إنها سبقُ لسان ولا أذكر أنا أيضاً لها دليلاً)، فقال الشيخ: (جزاك الله خيراً أرحتنا، وقصَّرْت علينا الطريق).

واتصل بي رحمه الله يوماً بالهاتف ولم أكن موجوداً فردّت ابنتي الصغيرة عليه قائلةً عند رفع سماعة الهاتف: السلام عليكم ورحمة الله، فسأل الشيخ عني، ثم قال لها: (أخبري أباك أن محمد ناصر الدين الألباني اتصل). ـ ولم يَقُل: «الشيخ»... وهذا من تواضعه ـ رفع الله درجته في الجنة.

فلما عدت إلى البيت أخبرتني ابنتي أنه اتصل بك رجل اسمه: محمد ناصر الدين الألباني، فاتصلت به على الفور وبعد أن طلب مني ما كان يريده قال لي: (يا أبا إسلام، عندما اتصلت بك ردَّت عَلَيَّ ابنتك الصغيرة وقالت: السلام عليكم ورحمة الله، فهلْ هذا التصرف عن علم؟ أم هو تصرُّف شخصيٌّ من الصغيرة؟ نريد أن نستفيد يا أبا إسلام). ـ وهذا أيضاً من تواضعه وحكمته في الدعوة رَحِمَهُ اللَّهُ ـ.

فقلت له: إنَّ هذا تصرف مِنَ الصغيرة وللمرَّة الأوْلىٰ، والذي نعلمه في هذا الأمر أن يرفع الإنسان سماعة الهاتف قائلاً: نعم، فيُسَلّم عليه مَنْ يطلبه، فيردّ هو السلام عليه لا أن يبدأه بالسلام، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: (هذا هو الصحيح الذي نعلمه؟ لأن الطالب على الهاتف كالطارق على الباب، لا فرق بينهما).

٧ ـ الثبات على المنهج:

فكان رَحِمَهُ اللَّهُ دائماً يقول: (عليكم بالثبات على التوحيد، والتمسك بالسنّة، والسير على منهج الصحابة رضوان الله عليهم)، وكان دائماً يردد في مجالسه قوله ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَٱلسَّـٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَـٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ . .﴾ الآية [التوبة: ١٠٠].

وقولـه ـ تعـالـىٰ ـ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾ [النساء: ١١٥].

وقولَه ﷺ: «... **وتفترق أُمتي على ثلاثٍ وسبعين ملة، كلهم في النار إلَّا ملة واحدة**»، فلما سئل عنها قال: «**ما أنا عليه اليوم وأصحابي**»(١).

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يسرُّ لي فيقول: (أدعياءُ المنهج كثير، والذين يثبتون عليه قليل، وستعرف ذلك بعد موْتي..)، وكان ما كان مما ذكر... فكم ممَّن

(١) حسن: ت: (٢٦٤١)، [«ص.ج» (٥٣٤٣)]، وسيأتي تخريجه لاحقاً.

كان يدَّعي محبة الشيخ واتباع المنهج قد تركوا المنهج! وناصبوا الشيخ العداء ورموه بما هو منه براء، ولا حوْل ولا قوة إلَّا بالله!.

وقد علم الجميعُ حرصَ الشيخ على اتِّباع المنهج السلفيِّ الصحيح، البعيد عن الإفراط والتفريط حياته كلَّها...

وهذه بشرىٰ أسوقها لكلِّ مَنْ أَحبَّ الشيخ في رؤيا ـ أرجو أن تكونَ صالحةً ـ رأيتها للشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ وهي بالحرف الواحد كما رأيتُها:

رأيت فيما يرىٰ النائم أَحدَ طلابِ العلم الذين كانوا في حياة الشيخ يحبُّونه، وبعد موْته بدأوا يرمونه بالإرجاء.. رأيته وقد دخلَ عليَّ في منزلي، وكان مضطرباً، فلما جلس قال لي:

يا أَبا إسلام، هَلْ عندك علم بتأويل الرؤىٰ؟

قلت له: لا.

قال لي: أنا أصبح عندي علمٌ جيّدٌ بتأويل الرّؤىٰ.

فقلت: لقد رأيت اليوم رؤيا ففسِّرها لي.

قال: أَفعلُ.

قلت: رأيت شيخنا الألبانيَّ رَحِمَهُ اللَّهُ وهو جالسٌ في بستان مليءٍ بالزهور والثمار والمطر الخفيف ينزل عليه وهو يشير بيده إلىٰ الأَمام كأنه يخط خطاً مستقيماً.

فقال هذا الأخ: هذه الرؤيا تبشر أنَّ الشيخ في نعيم، وهذه الإشارة من الشيخ يقول فيها لطلابه: اثبتوا على المنهج السلفي الذي تركتكم عليه.

فقلت أنا لهذا الأخ: إذا كان الأَمرُ كذلك فلماذا اتهمت الشيخ بالإرجاء؟ فقال لي: لهوىً في نفسي، ودفعني لذلك مبالغة بعض الإخوة في الدفاع عن الشيخ...

واستيقظت من النوم مسروراً بهذه البشرىٰ التي فيها أنَّ الشيخ نحسبه عند الله كما أَوَّلها الأخ في نعيم؛ لأن البستان والثمار والزهور والمطر كلُّها يؤوَّل بالنعيم والرحمة.

وكذلك لوصية الشيخ بالثبات على المنهج والاستقامة عليه بلا إفراط أو تفريط. ومِنْ شدّة حرصي على هذه الرؤيا وسروري بها حدَّثت بها في اليوم نفسه الذي رأيتها فيه في درس العقيدة طلاب العلم.

٨ ـ التواضع:

فكان رَحِمَهُ اللَّهُ يعلمنا التواضع، ومِنْ تواضعه وحسن معاملته لي أنه كان كثيراً ما يتفضل علينا بالزيارة بعدَ صلاة الفجر، وكان رَحِمَهُ اللَّهُ يحضرُ لنا معه هدية متواضعة، ويقول مداعباً ـ أحياناً ـ: (هذه هديّةٌ لا يقدِّمها لك إلَّا الألباني) لتواضعها ـ وتواضعهِ ـ.

ومن تواضعه كذلك أنه كان يتصل بي هاتفياً ليطمئنَّ عليَّ وعلى أهل بيتي، مستفسراً عَنْ دروسي وخطبي، مما كان له في نفسي أبلغ الأثر وأطيبه.

٩ ـ الصَّبْر على الدعوة:

كنتُ إذا اشتدَّت الفتن، وضعفت الهممُ ذهبت إليه، أجلسُ عنده، وأذكر له ما ألقاه مِنْ بعض أصحاب البدعِ والأهواء، فكان رَحِمَهُ اللَّهُ بكل بساطةٍ يوجّهُ وينصحُ ويقول لنا: (سحابةٌ وتمرُّ..)، ويذكر لنا أمثلةً من الكتاب والسنّة على الصبر والثبات عند اشتداد الفتن، فنخرج مِنْ عندِّه وقد امتلأت قلوبنا عزيمة وقوة في الدعوة والثبات على الحق. ومِنْ الأمثلة الرائعة، والنماذج العظيمة على صَبْر الشيخ على مَنْ آذاه، ما كان منه مِنْ صبرٍ حينما أفتى بوجوب الهجرة للمسلم مِن البلد الذي لا يستطيع أن يعبد الله فيه، فقام بعض المغرضين وأصحاب الهوى، وطلابُ الدنيا بإذاعة الفتوى وتحميلها ما لا يقصده الشيخ، واستعمالها في أغراضهم الدنيوية...

فلما وصل الخبر إلى الشيخ قال بكل هدوء وثبات: (حسبيَ الله ونعم الوكيل، اللهمَّ! إني مظلوم فانتصر، ثم قال لنا: سحابة وتمر..)، ومرت كما قال الشيخ، وظل الشيخ كالجبل الراسخ الأشمّ لا تهزّه الرياح... أما

الذين أطلقوا ألسنتهم في الشيخ، فإنهم الآن عبرةٌ لمن أراد أن يعتبر، فمن كان منهم خطيباً سقط وحُرمَ الخطابة بعدَ أن رفضه الناس!! ومَنْ كان منهم يريد بهذه الاتهامات الزائفة منصباً دنيوياً فقد خَسِر في الانتخابات!! ومَنْ كان منهم صحيحاً قوياً فقد صار اليوم إلى ضعفٍ ومرض!!.

وهذه هي نهاية كل مَنْ يتجرأ على النيل من العلماء والوقوع في أعراضهم.. وصدق مَن قال: (لحوم العلماء مسمومة) فهل مِنْ معتبر؟!

وفي أثناء اشتداد هذه الفتنة كان لا بُدَّ أن أقف مع الحقِّ مدافعاً عنه، فخطبت خطبة دافعت فيها عن الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وعن العلماء، وتكلمت فيها عن صفات علماء السوء الذين يريدون بعلمهم الدنيا الفانية.. وقَدَّر الله عَزَّ وَجَلَّ أن يكون الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ يصلي عندي، دون أن أعلم بوجوده...

وبعد الخطبة والصلاة زارني وقال لي: (جزاك الله خيراً يا أَبا إسلام لقد نصرتني مظلوماً، والرسول ﷺ يقول: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**»[(١)]).

١٠ ـ الحرص على فهم الكتاب والسنّة بفهم السلف الصالح:

فكان رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول دائماً: (كثيرٌ هُمْ أولئك الذينَ يدَّعون التمسك بالكتاب والسنّة، ولكنهم لا يفهمون الكتاب والسنّة بفهم سلف الأمة، فالذي يريدُ النجاة في الدنيا والآخرة، والصادقُ في قوله: «**أنا على منهج الصحابة**» هو الذي يتمسك بالكتاب والسنّة بفهم سلف الأمة).

وفي آخر وصيةٍ أوصىٰ بها الشيخ قبل موته في آخر لقاء التقىٰ فيه مع طلابه قال فيها: (أوصيكم بالعلم النافع، والعمل الصالح، والعلم النافع هو علم الكتاب والسنّة، بفهم سلف الأمة، والعمل الصالح هو ما كان لله ووافق السنّة).

---

(١) صحيح: خ: (٢٣١١).

ثانياً: بالنسبة للأخ العزيز الشيخ عبد العظيم بن بدوي الخلفي حفظه الله:

فإنَّ له عليَّ فضلاً عظيماً بعد الله ﷻ، ومِنْ ذلك الفضل:

١ ـ أنه ـ حفظه الله ـ كان سبباً في توبتي إلى الله ﷻ، فقبل ثلاثين عاماً مِنْ كتابة هذه المقدّمة ـ وكان حينئذٍ طالباً في الأزهر ـ جاء إلى قريتنا، قرية الزعفران في مصر، وأعطىٰ درساً في مسجد القرية، حول تفسير سورة الواقعة، وقد نفعني الله بهذا الدرس.

٢ ـ لمَّا سافرنا معاً إلى الأردن، وشرعنا في طلب العلم في قرية الفيصلية مِنْ قرى ضواحي عمان رأى الشيخ في منامه رجلاً يقول له: (أبو إسلام مِنْ أكثر الناس انتفاعاً منك) وبشرني بها الشيخ، والحمد للَّهِ فمنذ تلك اللحظة وأنا وأهلُ بيتي ننتفع من الشيخ حفظه الله.

٣ ـ ومما تعلمته منه، ولا يزال له أبلغ الأثر في دروسي وخطبي أنْ يكون الحرص على إرضاء الله وحده عند تحضير الدرس أو الخطبة ولا يُلتفتُ إلى إرضاء الناس؛ لأن الناس لا يغنون عنا من الله شيئاً، كما أن رضاهم غاية لا تُدْرك، قال ﷺ: «من التمس رضا الله بسخط الناس، رضيَ الله عنه، وأَرَضى عنه الناس، ومَنْ التمس رضا الناس بسخط الله، سخط الله عليه، وأسخط عليه الناس»[1].

❊ ❊ ❊

(١) صحيح لغيره: ت: (٢٤١٤)، حب: (٢٧٦)، [«ص.غ.هـ» (٢٢٥٠)].

تحذيرٌ بَيْن يَدَي الكتاب
من الطعن في العلماء

* الجناية على العلماء خرق في الدين، فمن ثَمَّ قال الطحاويُّ في عقيدته: (وعلماء السلف من السابقين، ومَنْ بعدهم من التابعين أَهلِ الخير والأثر، وأهلِ الفقه والنظر لا يُذْكرون إلَّا بالجميل، ومَنْ ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل).

فماذا تقول يا مَنْ ترمي الشيخ الألبانيَّ رَحِمَهُ اللهُ بالإرجاء، وتدَّعي أَنك على السبيل!!؟.

قال ابن المبارك: (مَن استخفَّ بالعلماء ذهبت آخرته، ومن استخف بالأمراء ذهبت دنياه، ومن استخف بالإخوان ذهبت مروءته)[١].

وقال الإمام أحمد بن الأذرعيّ: (الوقيعة في أهل العلم ولا سيما أكابرهم من كبائر الذنوب)[٢].

فهل تنكر يا مَنْ ترمي الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ بالإرجاء أنه من أكابر العلماء، وأنه محدثُ العصر، وأنه من أَئمة السنّة في هذا الزمان؟!.

وقال جعفر بن سليمان: سمعت مالك بن دينار يقول: (كفىٰ بالمرء شراً أَنْ لا يكون صالحاً وهو يقع في الصالحين)[٣].

* والطاعنون في العلماء لا يضرون إلَّا أَنفسهم، وهم يستجلبون لها

---

(١) انظر: «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٣٢/ ٤٤٤).
(٢) كتاب «الرد الوافر» (ص١٩٧).
(٣) انظر: «تاريخ دمشق» (٥٦/ ٤٣٠).

بفعلتهم الشنيعة أخبث الأوصاف، ﴿بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

وهم مِنْ شرار عباد الله بشهادة رسول الله ﷺ الذي قال: «خيار عباد الله الذين إذا رُؤوا ذُكر الله، وشرار عباد الله المشّاؤون بالنميمة المفرِّقون بَيْن الأحبة...»(١) الحديث.

وهم مفسدون في الأرض، والله يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١].

وهم عرضة لحرب الله تعالىٰ القائل في الحديث القدسي: «مَنْ عادىٰ لي ولياً فقد آذنته بالحرب... ...»(٢).

وهم متعرِّضون لاستجابة دعوة العالم المظلوم عليهم، فدعوة المظلوم ـ ولو كان فاسقاً ـ ليس بينها وبَيْن الله حجاب، فكيف بدعوة وليِّ الله الذي قال الله فيه: «وإن سألني لأعطِيّنه، ولئن استعاذني لأُعيذنّه»(٣).

ألا يتقي الله أولئك الذين يرمون الشيخ الألباني بما هو منه بريء براءة الذئب مِنْ دم يوسف؟.

فوالله الذي لا إله غيره، ولا رَبَّ سواه، لقد دعا الشيخ على مَنْ ظلموه واتهموه بما هو منه بريء في حياته، فاستجاب الله له فيهم، وهم الآن عبرةٌ لمن أراد أن يعتبر.

يا صاحب البغي إنَّ البغي مَصْرَعَةٌ فاعدلْ فخيرُ فِعال المرءِ أَعدلُهُ
فلو بغىٰ جبلٌ يوماً على جبلٍ لاندكَّ منه أعاليهِ وأسفلُهُ

* وَلْيُعْلَمْ أَنه يُخْشَىٰ على مَنْ تلذَّذ بغيبة العلماء والقدح فيهم، أَن يُبْتلى بسوء الخاتمة، عياذاً بالله منها.

---

(١) حسن لغيره: حم: (٤/٢٢٧)، [«ص.غ.هـ» (٢٨٢٤)] وسيأتي تخريجه لاحقاً.
(٢) صحيح: خ: (٦١٣٧).
(٣) المصدر السابق.

* ثمَّ الخائض في أعراض العلماء ظلماً وعدْواً إنْ حُمِلَ عنه ذلك، واقتُدي به فيه، فقد سَنَّ سنّة سيئة فعليه وزرها ووزر مَنْ عمل بها إلىٰ يوم القيامة، والدال على الشرِّ كفاعله، والسعيد مَنْ إذا مات ماتت معه سيئاته قال ـ تعالىٰ ـ: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَارَهُمْ﴾ [يس: ١٢].

وما مِنْ كاتب إلَّا سيلقىٰ غداةَ الحشر ما كتبت يداهُ
فلا تكتب بكفك غير شيءٍ يسُرُّك في القيامة أَن تراهُ

* ورُوي عن الإمام أحمد أنه قال: (لحوم العلماء مسمومة، مَنْ شمَّها مَرِض، ومَنْ أكلها مات)[١].

وقال الحافظ ابن عساكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (واعلم يا أخي ـ وفقنا الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حقَّ تقاته ـ إن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة؛ لأنَّ الوقيعة فيهم بما هم منه بَرآء أَمرٌ عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتعٌ وخيم)[٢].

وقال أيضاً رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (ومَنْ أطلق لسانه في العلماء بالثَّلْب ابتلاه الله تعالىٰ قبل موته بموت القلب، ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾)[٣] [النور: ٦٣].

* وأقول للذين يتطاولون بألسنتهم على الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ ويتهمونه بالإرجاء: قال ـ تعالى ـ: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠]، ونقول لهم ـ ما كان الشيخ يكرّره أحياناً ـ: (وعند الله تجتمع الخصوم).

ومِنْ مخاطر الطعن في العلماء:

ـ التسبب إلى تعطيل الانتفاع بعلمهم:

وقد نهىٰ النبيّ ﷺ عَنْ سبِّ الديك؛ لأنه يدعو للصلاة.

---

(١) كتاب «المعيد في أدب المفيد والمستفيد» (ص٧١).
(٢) قاله في كتابه «تبيين كذب المفتري».
(٣) المصدر السابق.

فكيف يستبيح قومٌ إطلاق أَلسنتهم في ورثة الأنبياء الداعين إلى الله ﷻ، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: (ما نحن لولا كلمات العلماء؟!)[١].

وكان الحسن البصري رحمه الله يقول: (الدنيا كلها ظُلمة إلَّا مجالس العلماء)[٢].

ـ ومِنْ مخاطر الطعن في العلماء:

أن القدح بالحامل يفضي إلى القدح بما يحمله من الشرع والدين، ولهذا أطبق العلماء على أنَّ مِنْ أسباب الإلحاد (القدح في العلماء).

وقال الشيخ بكر أبو زيد ـ عافاه الله ـ: (بادرةٌ ملعونةً... وهي تكفير الأئمة، النووي، وابن دقيق العيد، وابن حجر العسقلاني، أو الحط مِنْ أقدارهم، أو أنهم مبتدعةٌ ضلَّال، كل هذا مِنْ عمل الشيطان، وباب ضلالةٍ وإضلال وفسادٍ وإفساد، وإذا جرح شهود الشرع جُرح المشهود به، لكنَّ الأغرار لا يفقهون ولا يتثبّتون).

ألا يُقال هذا الكلام الجميل، الطيب في حقِّ الذين تجرّؤوا على عرض محدِّث العصر الشيخ، ورموه بالإرجاء؟!.

وقال الشيخ العلامة طاهر الجزائري وهو على فراش الموت: (عُدُّوا رجالكم، واغفروا لهم بعض زلَّاتهم، وعضوا عليهم بالنواجذ لتستفيد الأُمة منهم، ولا تنفّروهم لئلا يزهدوا في خدمتكم)[٣].

فليتق اللَّهَ قومٌ أطلقوا أَلسنتهم في أعراض العلماء، ونفّروا الناس مِنْ علمهم ومِنْ مجالسهم ومِنْ كتبهم، وليعلم الجميع أَنه إذا خلت الساحة مِنْ أهل العلم والتُّقىٰ اتخذ الناس رؤوساً جهّالاً يُفْتونهم بغير علم، وإذا

---

(١) مي: (٣٩٠).
(٢) كتاب «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (٢٦٤)، (ص٢٣٦).
(٣) كتاب «التعالم» (ص٩١).

أفتوهم بغير علم فلا تسألْ عنِ الحُرُمات التي تستباح، والدم المعصوم الذي يُهْراق، والعرض الذي ينتهك، والمال الذي يهدر، ونظرة واحدة إلى الواقع الأليم في بعض بلاد المسلمين، وما يقع فيها مِنْ مجازر ومذابح بأيدي الأدعياء الذين استبدوا برأيهم، وتأوَّلوا بأَهوائهم، وركبوا رؤوسهم ولم يصغوا إلى نصائح العلماء، تنبئك عن مخاطر تغييب العلماء وقطع الصلة بينهم وبين الشباب، وما نصحُ الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ لشباب الجزائر ألَّا يفعلوا ما فعلوا وألَّا يتسرعوا استجابةً لقول الرسول ﷺ لخباب بن الأرتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**والله ليتمَّنَّ هذا الأَمر حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حضرموتَ لا يخافُ إلَّا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون**»[1]، أقول: ما نصح الشيخ لهم ببعيد، ولكنهم لم يستجيبوا لنصيحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ.

فهل جزاءُ الذي ينصح للأمة ـ حقناً لدمائها، وحفظاً لشبابها ـ ألَّا تتسرَّع ـ هل جزاء هذا أن يُرْمىٰ ببدعة الإرجاء؟! سبحانك هذا إفكٌ مبين، كبرت كلمةً تخرج منْ أفواههم إنْ يقولون إلا كذباً، فواللَّهِ ما عرفنا الشيخ يوماً.. ولا سمعنَاه يوماً إلَّا وهو يحذرنا مِنْ بدعة الخوارج ومِنْ بدعة المرجئة وهو يقول: (عليكم بمنهج السلف الصالح).. فرحم الله الشيخ رحمةً واسعة..

وأقول: (يا طلابَ العلم.. ويا شبابَ الإسلام، اعلموا أنَّ العلماء هم عقول الأُمة، والأمة التي لا تحترم عقولها غير جديرةٍ بالبقاء).

فنصيحتي لإخواني طلاب العلم في كل مكان هي:

احذروا الوقيعة في أهل العلم، وإلَّا حشرتم أنفسكم في خندق واحدٍ تُظاهرون أعداء الإسلام الذين يحاولون تحطيم قمم الإسلام باعتبار ذلك أقصر طريقٍ لطعنِ الإسلام نفسه فلا تَكونُنَّ ظهيراً للمجرمين، واستحضروا قول الله تعالى على لسان موسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾﴾ [القصص: ١٧].

---

(١) صحيح: خ: (٦٥٤٤).

واعلموا أن محاولة هدم القمم للتوصل بذلك إلى هدم الدين، وإطفاء نوره هي سياسة قديمة قِدَم الكائدين لهذا الدين.

فمن محاولاتها الأوْلىٰ: ما جرىٰ مِنْ حديث الإفك في حقِّ الصّديقة بنت الصديق الطاهرة البتول المبرأة مِنْ فوق سبع سماوات أم المؤمنين عائشة ﵂، فقد كان الإفك طعنةً موجهة في المقام الأول إلى صاحب الرسالة ﷺ، ثم للرجل الثاني في الإسلام أبي بكر الصديق ﵁، ثم لعائشة الصّديقة التي حُمل عنها ربع الشريعة.

ـ ومن هذه المحاولات اجتهاد أعداء السنّة والتوحيد من المستشرقين وأذنابهم من الذين نافقوا، في الطعن في راوية الإسلام أبي هريرة ﵁، وهو أكثر الصحابة رواية عن رسول الله ﷺ، فإذا هدم أبو هريرة، انهدم قسمٌ عظيم مِنْ سنّة رسول الله ﷺ.

ـ ومن ذلك ما يدأبُ فيه الرافضة ـ قَبَّحهم الله، ونكّس راياتهم ـ من الطعن في صحابة رسول الله ﷺ وتصويرهم ـ إلّا خمسَةً منهم ـ في أشنع الصور وأقبحها.

ولقد فقه السلف هذه الحقيقة وتنبّهوا لمراميها البعيدة، فكشفوا عوارها وهتكوا سترها، فعن مصعب بن عبد الله قال:

حدثني أبي عبدُ الله الزبيري، قال: قال لي أمير المؤمنين المهدي: (يا أبا بكر، ما تقول فيمن ينقص أصحاب رسول الله ﷺ؟ قال: قلت: زنادقة. قال: ما سمعت أحداً قال هذا قبلك، قال: قلت: هم قوم أرادوا رسول الله ﷺ بنقص فلم يجدوا أحداً من الأمة يتابعهم على ذلك، فتنقصوا هؤلاء عند أبناء هؤلاء، وهؤلاء عند أبناء هؤلاء، فكأنهم قالوا: رسول الله ﷺ يصحبه صحابة السوء، وما أقبح بالرجل أن يصحبه صحابة السوء، فقال: ما أراه إلّا كما قلت)[١].

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٠/ ١٧٥)، «تاريخ دمشق» (٤٤/ ٣٨٣).

وقال الإمام أحمد: (إذا رأيت أحداً يذكر أصحاب رسول الله بسوء، فاتهمه على الإسلام)[١].

وقال الإمام أبو زرعة الرازي: (إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أنَّ رسول الله ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أَدَّىٰ إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا، ليبطلوا الكتاب والسنّة، والجرح أَوْلىٰ بهم وهم زنادقة)[٢].

فكل مَنْ أراد طعن الإسلام طعن في رموزه وحملة شريعته، والذابِّين عن حوزته.

قال سفيان بن وكيع: (أحمد عندنا محنةٌ، مَنْ عاب أحمد عندنا فهو فاسق)[٣].

وقال أبو الحسن الطرخاباذي: (أحمد محنةٌ، به يعرف المسلم من الزنديق)[٤].

وقال الدورقي: (مَنْ سمعتموه يذكر أحمد بن حنبل بسوء فاتهموه على الإسلام)[٥].

ـ ومن ذلك حرص الأبواق المنافقة على الطعن في المجدِّدين الذين بعثوا سنّة النبيِّ ﷺ وذبُّوا عن دعوة التوحيد؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية، ومحمد بن عبد الوهاب، وعبد العزيز بن باز، والشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمهم الله جميعاً، وغيرهم من المجددين.

فمن وافق القوم في تطاولهم على رموز الإسلام، فقد أعانهم مِنْ

(١) «تاريخ دمشق» (٥٩/ ٢٠٩).
(٢) «تاريخ دمشق» (٣٨/ ٣٢ ـ ٣٣).
(٣) «تاريخ دمشق» (٥/ ٣٢٢).
(٤) المصدر السابق.
(٥) «تاريخ دمشق» (٥/ ٣٢١).

حيث يدري أو مِنْ حيث لا يدري على تحقيق غاياتهم الخبيثة، وشمّت بنا أعداءَ الإسلام، وقد قال هارون لأخيه موسى: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ ٱلْأَعْدَآءَ﴾ [الأعراف: ١٥٠].

وقد أمرنا النبيُّ ﷺ أن نتعوّذ بالله من **(شماتة الأعداء)**[(١)].

فكونوا يا طلاب العلم في كل مكان على درجةٍ رفيعةٍ من الوعي وسلامة النظر بما يفعله أعداء الإسلام ويخططون له مِنْ النيل من رموز وقمم الإسلام وهم العلماء الذين شهدت لهم الدنيا بالعلم والصلاح والتقوىٰ.

نسأل الله العظيم أن يحفظنا وإياكم من الفتن، ما ظهر منها وما بطن، وأن يجعلنا وإياكم مفاتيح خير، مغاليق شر، ولا يجعلنا مفاتيح شرٍّ مغاليق خير، إنه سميع الدعاء.

وكتبه

«أبو إسلام»

صالح بن طٰه عبد الواحد

---

(١) صحيح: خ: (٥٩٨٧)، م: (٢٧٠٧)، وهو جزء من حديث.

(نصيحةٌ للدعاة)

إخواني الدعاة في كلِّ مكان، أسألُ الله لي ولكم أَن يرزقنا الإخلاص في القول والعمل، واعلموا أنَّ خطيب الجمعة ينجح في خطبته إذا أقامها على هذه الأَركان:

الأول: الإخلاصُ لله.

الثانية: العلم الشرعي (علم الكتاب والسنة).

الثالث: فن الخطابة، أي: أَن يكون على درايةٍ بهذا الفن وأساليبه.

• فالخطيب إذا كان مخلصاً لله، وعلى علم، ولم يكن على قدر من العلم بفنِ الخطابة عجز عن إيصال الموعظة إلى قلوب سامعيه.

• وإذا كان الخطيب على علم، متمكناً من فَنِّ الخطابة، ولا إخلاص عنده فترى كلامه لا يخلص إلى قلوب الناس، ولا ينتفعون بكلامه.

• وإذا كان الخطيب مخلصاً، وخطيباً بارعاً، ولا علم عنده، فتراه يملأُ خطبته بالسبِّ والشتم لا تسمع فيها (قال الله) ولا (قال رسول الله) لأنَّ فاقد الشيء لا يعطيه، وما أكثر هذا الصنف في زماننا!!. خطبٌ حماسيةٌ، رنَّانة، خاوية مِنْ ذكر الله تُدمر ولا تُعمر، وتُفْسدُ ولا تُصلح..

أما الخطيب الناجح فهو الذي يبتغي بخطبته وجه الله، ويملئوها بـ (قال الله) و(قال رسول الله)، ويقدِّمها للناس كما تعلم مِنَ الكتاب والسنة.

إخواني الدعاة، وفيما يلي فائدة نقدِّمها لإخواننا الدعاة في كل مكان وهي عبارة عن جملةٍ من النصائح اقتبسناها من مقدِّمة كتاب (منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل)، التي قدم بها لهذا الكتاب القيِّم الدكتور صالح بن فوزان الفوزان حفظه الله.

الحمد لله رب العالمين، أمرنا باتِّباع رسوله، والدَّعوة إلى سبيله، والصلاة والسلام على نبيِّنا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإنَّ الدعوة إلى الله هي سبيلُ الرسول ﷺ وأتباعه ـ كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]، بل الدَّعوة إلى الله هي مهمَّة الرُّسل وأتباعهم جميعاً، لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن الشرك إلى التوحيد، ومن النار إلى الجنَّة. وهي مرتكزة على دعائم وتقوم على أسس لا بدَّ منها ـ متى اختلَّ واحدٌ منها لم تكن دعوة صحيحة ولم تثمر الثمرة المطلوبة، مهما بُذل فيها من جهود وأُضيع فيها من وقت ـ كما هو المشاهد والواقع في كثير من الدعوات المعاصرة التي لم تؤسَّس على تلك الدعائم ولم تقم على تلك الأسس.

● وهذه الدعائم التي تقوم عليها الدعوة الصحيحة هي كما دل عليه الكتاب والسُّنَّة تتلخص فيما يلي:

١ ـ **العلمُ بما يدعو إليه،** فالجاهل لا يصلح أن يكون داعية ـ قال الله تعالى لنبيِّه ﷺ: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨] والبصيرة هي العلم، ولأنَّ الداعية لا بدَّ أن يواجه علماء ضلال يوجِّهون إليه شبهات ويجادلون بالباطل ليدحضوا به الحقَّ، قال الله تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال النَّبي ﷺ لمعاذ: «**إنَّك ستأتي قوماً من أهل الكتاب**»[1]. فإذا لم يكن الداعية مسلحاً بالعلم الذي يواجه به كل شبهة ويجادل به كل خصم فإنَّه سينهزم في أوَّل لقاء وسيقف في أوَّل الطريق.

٢ ـ **العمل بما يدعو إليه** حتى يكون قدوةً حسنة تصدق أفعالُه أقوالَه ولا يكون للمبطلين عليه حجَّة، قال الله تعالى عن نبيِّه شعيب عليه السلام أنَّه قال

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٠٩٠)، م: (١٩).

لقومه: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُۚ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ﴾ [هود: ٨٨].

وقال تعالى لنبيِّه محمد ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الإنعام: ١٦٢، ١٦٣].

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [فصلت: ٣٣].

٣ ـ **الإخلاص**، بأن تكون الدَّعوة لوجه الله لا يقصد بها رياء ولا سمعة ولا ترفعاً ورئاسةً ولا طمعاً من مطامع الدنيا ـ لأنها إذا دخلها شيء من تلك المقاصد لم تكن دعوة لله، وإنَّما هي دعوة للنَّفس أو للطمع المقصود ـ كما أخبر الله عن أنبيائه أنَّهم يقولون لأممهم: ﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ﴾ [الأنعام: ٩٠]، ﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ﴾ [هود: ٢٩].

٤ ـ **البداءة بالأهم فالأهم**، بأن يدعو أوّلاً إلى إصلاح العقيدة بالأمر بإخلاص العبادة لله والنَّهي عن الشرك، ثمَّ الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وفعل الواجبات وترك المحرمات كما هي طريقة الرسل جميعاً كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وغير ذلك من الآيات.

ولما بعث النَّبي ﷺ معاذاً إلى اليمن قال له: «**إنَّك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جئتم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن هُم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أنَّ الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة...**»[1] الحديث.

وفي طريقته وسيرته ﷺ في الدعوة خير قدوة وأكمل منهج حيث

---

(١) **صحيح**: خ: (٤٠٩٠)، م: (١٩).

مكث ﷺ في مكَّة ثلاث عشرة سنة يدعو النَّاس إلى التَّوحيد وينهاهم عن الشرك قبل أن يأمرهم بالصلاة والزكاة والصوم والحج، وقبل أن ينهاهم عن الربا والزنا والسرقة وقتل النّفوس بغير حق.

٥ ـ الصبر على ما يلاقي في سبيل الدعوة إلى الله من المشاق وما يواجه من أذى النَّاس، لأنَّ طريق الدَّعوة ليس مفروشاً بالورود، وإنَّما هو محفوف بالمكاره والمخاطر، وخير أسوة في ذلك هم الرسل صلوات الله وسلامه عليهم فيما واجهوا من أقوامهم من الأذى والسخرية ـ كما قال الله تعالى لنبيِّه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأنعام: ١٠].

وقال: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا﴾ [الأنعام: ٣٤].

وكذلك ينال أتباعُ الرسل من الأذى والمشاق بقدر ما يقومون به من الدعوة إلى الله اقتداءً بهؤلاء الرسل الكرام عليهم مِن الله أفضل الصلوات وأزكى السلام.

٦ ـ على الداعية أن يكون متحلِّياً بالخلق الحسن مستعملاً للحكمة في دعوته لأنَّ هذا أدعى لقبول دعوته كما أمر الله نبييه الكريمين موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام، أن يستعملا ذلك في مواجهة أكفر أهل الأرض وهو فرعون الذي ادَّعى الربوبيَّة ـ حيث قال سبحانه: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤].

وقال تعالى لموسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ [النازعات: ١٧ ـ ١٩].

وقال تعالى في حقِّ نبينا محمد عليه الصلاة والسلام: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤]، وقال تعالى: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

٧ ـ **على الدَّاعية أن يكون قوي الأمل** لا ييأس من تأثير دعوته وهداية قومه ولا ييأس من نصر الله ومعونته ولو امتدَّ الزمن وطال عليه الأمد، وله في رُسُلِ الله خير قدوة في ذلك.

فهذا نبي الله نوح عليه الصلاة والسلام لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله.

وهذا نبيُّنا محمد ﷺ لما اشتدَّ عليه أذى الكفار وجاءه مَلَك الجبال يستأذنه أن يطبق عليهم الأخشبين ـ قال: «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً**»(١).

ومتى فقد الداعية هذه الصفة، فإنَّه سيقف في أوَّل الطريق ويبوء بالخيبة في عمله.

وإنَّ أيَّة دعوة لا تقوم على هذه الأسس ويكون منهجها قائماً على منهج الرسل فإنَّها ستبوء بالخيبة وتضمحل وتكون تعباً بلا فائدة ـ وخير دليل على ذلك تلك الجماعات المعاصرة التي اختطت لنفسها منهجاً للدعوة يختلف عن منهج الرسل ـ فقد أغفلت هذه الجماعات إلّا ما قلَّ منها ـ جانب العقيدة ـ وصارت تدعو إلى إصلاح أمور جانبيَّة ـ فجماعة تدعو إلى إصلاح الحكم والسياسة وتطلب بإقامة الحدود وتطبيق الشريعة في الحكم بين الناس ـ وهذا جانب مهم ـ لكنَّه ليس الأهم ـ **إذ كيف يطالب بتطبيق حكم الله على السارق والزاني قبل أن يطالب بتطبيق حكم الله على المشرك، كيف يُطالب بتطبيق حكم الله بين المتخاصمين في الشاة والبعير، قبل أن يطالب بتطبيق حكم الله على عباد الأوثان والقبور، وعلى الذين يلحدون في أسماء الله وصفاته فيعطِّلونها عن مدلولاتها ويحرفون كلماتها.**

أهؤلاء أشد جرماً أم الذين يزنون ويشربون الخمر ويسرقون؟!!! إنَّ هذه الجرائم إساءة في حق العباد، والشرك ونفي الأسماء والصفات إساءة في حق الخالق سبحانه ـ وحق الخالق مقدَّم على حقوق المخلوقين ـ.

---

(١) **صحيح**: خ: (٣٠٥٩)، م: (١٧٩٥).

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية في كتاب «الاستقامة» (١/ ٤٦٦): (فهذه الذنوب مع صحّة التوحيد خير من فساد التوحيد مع عدم هذه الذنوب)[1] انتهى.

هذا وجماعة أخرى تنتمي إلى الدعوة ـ لكنَّها تسير على منهج آخر يختلف أيضاً عن منهج الرسل، فلا تعير العقيدة أهميّة ـ وإنَّما تهتم بجانب التعبد وممارسة بعض الأذكار على نهج الصوفيَّة ويركزون على الخروج والسياحة والذي يهمهم هو استقطاب الناس معهم دون نظر إلى عقائدهم ـ وهذه كلها طرق مبتدعة تبدأُ من حيث انتهت دعوة الرسل ـ وهي بمثابة من يعالج جسداً مقطوع الرأس ـ لأنَّ العقيدة من الدين بمنزلة الرأس من الجسد ـ والمطلوب من هذه الجماعات أن تصحح مفاهيمها بمراجعة الكتاب والسنَّة لمعرفة منهج الرسل في الدعوة إلى الله ـ فإنَّ الله سبحانه أخبر أنَّ الحاكميَّة والسلطة التي هي محور دعوة هذه الجماعة التي أشرنا إليها لا تتحقق إلّا بعد تصحيح العقيدة بعبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه ـ قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [النور: ٥٥].

وهؤلاء يريدونَ قيام دولة إسلاميَّة قبلَ تطهير البلاد من العقائد الوثنيَّة المتمثلة بعبادة الموتى والتَّعلق بالأضرحة بما لا يختلف عن عبادة اللّات والعزى ومناة الثالثة الأخرى بل تزيد عليها أنَّهم يحاولون محالاً:

ومن طلب العلا من غير كد ... أضاع العمر في طلب المحال

إنَّ تحكيم الشريعة وإقامة الحدود وقيام الدولة الإسلاميَّة واجتناب المحرمات وفعل الواجبات كل هذه الأمور من حقوق التوحيد ومكملاته وهي تابعة له فكيف يُعتنى بالتابع ويُهمل الأصل؟.

---

(١) ودليل هذا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] وقد تعجب حين تعلم أنا قد وجدنا لبعض قادة هذه الجماعة كتباً يؤيدون فيها التبرك بالأضرحة والتوسل بالصالحين.

وإنَّني أرى أنَّ ما وقع لتلك الجماعات من مخالفة لمنهج الرسل في طريقة الدعوة إلى الله إنَّما نشأ من جهلهم بهذا المنهج ـ **والجاهل لا يصلح أن يكون داعية، لأن من أهم شروط الدعوة العلم كما قال تعالى عن نبيِّه:** ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [يوسف: ١٠٨]، فأهم مؤهلات الداعية العلم[1].

ثمَّ إننا نرى هذه الجماعات المنتسبة إلى الدعوة مختلفة فيما بينها فكل جماعة تختط لنفسها خطة غير خطة الجماعة الأخرى وتنتهج غير منهجها، وهذه نتيجة حتمية لمخالفة منهج الرسول ﷺ فإنَّ منهج الرسول واحد لا انقسام فيه ولا اختلاف عليه كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ [يوسف: ١٠٨]، فأتباع الرسول ﷺ على هذه السبيل الواحدة لا يختلفون.

وإنَّما يختلف من خالف هذه السبيل، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، ولما كان أمر هذه الجماعات المخالفة والمختلفة يشكل خطراً على الإسلام قد يصد عنه من أراد الدخول فيه كان لا بدَّ من بيانه وبيان أنَّه ليس من الإسلام في شيء كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، ولأنَ الإسلام يدعو إلى الاجتماع على الحق كما قال تعالى: ﴿أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ﴾ [الشورى: ١٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، لمَّا كان بيان ذلك واجباً وكشفه لازماً قام جماعة من العلماء من ذوي الغيرة والتحقيق بالتَّنبيه على أخطاء تلك الجماعات وبيان مخالفتها في الدعوة لمنهج الأنبياء لعلها ترجع إلى صوابها ـ فإنَّ الحق ضالَّة المؤمن ـ ولئلا يغترَّ بها من لا يعرف ما هيَ عليه من خطأ، اهـ.

---

(١) وبعض هؤلاء الذين ينتسبون للدعوة إلى الإسلام لو سألتَ أحدهم: ما هو الإسلام؟ وما هي نواقضه؟ لم يستطع أن يجيب إجابة صحيحة فكيف جاز لمثل هذا أن يكون داعية؟!!!.

التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام
هذا هو منهج الأنبياء جميعاً وورثة الأنبياء
محاضرة لإمام العصر محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله

قلنا في مقدمة هذا الكتاب (العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون): إن هذا الكتاب مجموعة مِنْ خطب الجمعة في موضوع العقيدة، نصحني بها والدي وأستاذي وشيخي محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله، وأَمرني بطبعها ونشرها لينتفع بها المسلمون مكتوبةً كما نَفَعَ بأصلها مسموعةً..

فما كانَ مني إلا أن امتثلت أمره، وعملت بنصيحته سائلاً الله عز وجل أن يثيبني وشيخي وكلَّ مَن ساهم في إخراج هذا الكتاب.

وبقدر الله جل وعلا بعد أن انتهينا مِنْ مراجعة الكتاب وصلني كتابٌ صغير الحجم، كبير الفائدة عنوانه: «التوحيد أولاً يا دعاة الإسلام» للعلامة محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله، قام بنشره إخواننا في مسجد إبراهيم الخليل في دبي.

ولما كانَ موضوع هذا الكتاب يلتقي مع ما تضمنه كتابنا من وجوب الاهتمام والعناية بالعقيدة أولاً وقبل كل شيء، رأيت أَن أُلحق هذا الكتاب بكتابي لسببين اثنين:

أَوَّلُهما: أَنَّ للشيخ رحمه الله فضلاً عليَّ عظيماً بعد الله عز وجل في هذه المواعظ.

ثانيهما: ليتبيَّن للجميع اهتمام العلماء قديماً وحديثاً بموضوع العقيدة، ومن هؤلاء العلماء شيخنا الألباني رحمه الله.

وأصل هذا الكتاب الذي وصلني إجابة أجاب بها الشيخ رحمه الله على سؤال وُجِّه له، ونصُّ السؤال:

* فضيلة الشيخ! لا شك أنكم تعلمون بأن واقع الأمة الديني واقع مرير من حيث الجهل بالعقيدة، ومسائل الاعتقاد، ومن حيث الافتراق في المناهج وإهمال نشر الدعوة الإسلامية في أكثر بقاع الأرض طبقاً للعقيدة الأولىٰ والمنهج الأول الذي صلحت به الأمة، وهذا الواقع الأليم لا شك بأنه قد ولّد غيرة عند المخلصين ورغبة في تغييره وإصلاح الخلل، إلا أنهم اختلفوا في طريقتهم في إصلاح هذا الواقع؛ لاختلاف مشاربهم العقدية والمنهجية ـ كما تعلم ذلك فضيلتكم ـ من خلال تعدد الحركات والجماعات الإِسلامية الحزبية والتى ادَّعت إصلاح الأمة الإسلامية عشرات السنين، ومع ذلك لم يكتب لها النجاح والفلاح، بل تسببت تلك الحركات للأمة في إحداث الفتن ونزول النكبات والمصائب العظيمة، بسبب مناهجها وعقائدها المخالفة لأمر الرسول ﷺ وما جاء به، مما ترك الأثر الكبير في الْحَيْرَةِ عند المسلمين ـ وخصوصاً الشباب منهم ـ في كيفية معالجة هذا الواقع، وقد يشعر الداعية المسلم المتمسك بمنهاج النبوة المتبع لسبيل المؤمنين، المتمثل في فهم الصحابة والتابعين لهم بإحسان من علماء الإِسلام؛ قد يشعر بأنه حمل أمانة عظيمة تجاه هذا الواقع وإصلاحه أو المشاركة في علاجه.

- فما هي نصيحتُكم لأتباع تلك الحركات أو الجماعات؟
- وما هي الطرق النافعة الناجعة في معالجة هذا الواقع؟
- وكيف تبرأ ذمة المسلم عند الله ﷻ يوم القيامة؟



الجواب

*** يجب العناية والاهتمام بالتوحيد أولاً كما هو منهج الأنبياء والرسل** عليهم السلام:

بالإِضافة لما ورد في السؤال ـ السابق ذكره آنفاً ـ، من سوء واقع المسلمين، نقول: إن هذا الواقع الأليم ليس شراً مما كان عليه واقع

العرب في الجاهلية حينما بُعث إليهم نبينا محمد ﷺ؛ لوجود الرسالة بيننا، وكمالها، ووجود الطائفة الظاهرة علىٰ الحق، والتي تهدي به، وتدعو الناس للإسلام الصحيح: عقيدة، وعبادة، وسلوكاً، ومنهجاً، ولا شك بأن واقع أُولئك العرب في عصر الجاهلية مماثل لما عليه كثير من طوائف المسلمين اليوم!.

بناء علىٰ ذلك نقول: العلاج هو ذلك العلاجُ، والدواء هو ذاك الدواءُ، فبمثل ما عالج النبي ﷺ تلك الجاهلية الأُولىٰ، فعلىٰ الدعاة الإسلاميين اليوم ـ جميعهم ـ أن يعالجوا سوء الفهم لمعنىٰ «لا إله إلا الله»، ويعالجوا واقعهم الأليم بذلك العلاج والدواء نفسه. ومعنىٰ هذا واضح جداً؛ إذا تدبرنا قول الله ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

فرسولنا ﷺ هو الأسوة الحسنة في معالجة مشاكل المسلمين في عالمنا المعاصر وفي كل وقت وحين، ويقتضي ذلك منا أن نبدأ بما بدأ به نبينا ﷺ وهو إصلاح ما فسد من عقائد المسلمين أولاً، ومن عبادتهم ثانياً، ومن سلوكهم ثالثاً. ولست أعني من هذا الترتيب فصلَ الأمر الأول بَدءاً بالأهم ثم المهم، ثم ما دونه!. وإنَّما أريد أن يهتم بذلك المسلمون اهتماماً شديداً كبيراً، وأعني بالمسلمين بطبيعة الأمر الدعاة، ولعل الأصح أن نقول: العلماء منهم؛ لأن الدعاة اليوم ـ مع الأسف الشديد ـ يدخل فيهم كل مسلم ولو كان علىٰ فقر مدقع من العلم، فصاروا يعدون أنفسهم دعاة إلىٰ الإسلام، وإذا تذكرنا تلك القاعدة المعروفة ـ لا أقول: عند العلماء فقط بل عند العقلاء جميعاً ـ تلك القاعدة التي تقول: «فاقد الشيء لا يعطيه». فإننا نعلم اليوم بأن هناك طائفة كبيرة جداً يعدون بالملايين من المسلمين تنصرف الأنظار إليهم حين يطلق لفظة: الدعاة. وأعني بهم: «جماعة الدعوة»، أو «جماعة التبليغ»، ومع ذلك فأكثرهم كما قال الله ﷻ: ﴿. . . وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٧].

ومعلوم من طريقة دعوتهم أنهم قد أعرضوا بالكلية عن الاهتمام

بالأصل الأول ـ أو بالأمر الأهم ـ من الأمور التي ذُكرت آنفاً، وأعني: العقيدة والعبادة والسلوك، وأعرضوا عن الإصلاح الذي بدأ به الرسول ﷺ، بل بدأ به كل الأنبياء، وقد بينه الله تعالىٰ بقوله: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ...﴾ [النحل: ٣٦]. فهم لا يُعنون بهذا الأصل الأصيل والركن الأول من أركان الإِسلام ـ كما هو معلوم لدىٰ المسلمين جميعاً ـ؛ هذا الأصل الذي قام يدعو إليه أول رسول من الرسل الكرام ألا وهو نوح ﷺ قُرابةَ ألف سنة، والجميع يعلم أن الشرائع السابقة لم يكن فيها من التفصيل لأحكام العبادات والمعاملات ما هو معروف في ديننا هذا؛ لأنه الدين الخاتم للشرائع والأديان، ومع ذلك فقد لبث نوح في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يصرف وقته وجلّ اهتمامه للدعوة إلى التوحيد، ومع ذلك أعرض قومه عن دعوته كما بيَّن الله ﷻ ذلك في محكم التنزيل: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣]. فهذا يدلّ دلالة قاطعة علىٰ أن أهم شيء ينبغي علىٰ الدعاة إلىٰ «الإسلام الحقّ» الاهتمامَ به دائماً هو الدعوةُ إلىٰ التوحيد، وهو معنىٰ قوله ـ تبارك تعالىٰ ـ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ ...﴾ [محمد: ١٩].

هكذا كانت سنة النبي ﷺ عملاً وتعليماً.

أما **فعله**: فلا يحتاج إلىٰ بحث؛ لأن النبي ﷺ في العهد المكي إنَّما كان فعله ودعوته محصورة في الغالب في دعوة قومه إلىٰ عبادة الله لا شريك له.

أما **تعليماً**: ففي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه الوارد في الصحيحين أن النبي ﷺ عندما أرسل معاذاً إلىٰ اليمن قال له: «**فليكن أول ما تدعوهم إليه: عبادة الله، فإذا عرفوا الله فأخبرهم**...»[١]. إلخ الحديث. وهو معلوم ومشهور إن شاء الله تعالىٰ.

---

(١) **صحيح**: خ: (١٣٨٩)، م: (١٩).

إذاً، قد أمر النبي ﷺ أصحابه أن يبدؤوا بما بدأ به وهو الدعوة إلىٰ التوحيد، ولا شك أن هناك فرقاً كبيراً جداً بين أولئك العرب المشركين ـ من حيث إنهم كانوا يفهمون ما يقال لهم بلغتهم ـ، وبين أغلب العرب المسلمين اليوم الذي ليسوا بحاجة أن يُدْعَوْا إلىٰ أن يقولوا: لا إله إلا الله؛ لأنهم قائلون بها علىٰ اختلاف مذاهبهم وطرائقهم وعقائدهم، فكلهم يقولون: لا إله إلا الله، لكنهم في الواقع بحاجة أن يفهموا ـ أكثر ـ معنىٰ هذه الكلمة الطيبة، وهذا الفرق فرق جوهري ـ جداً ـ بين العرب الأولين الذين كانوا إذا دعاهم رسول الله ﷺ أن يقولوا: لا إله إلا الله يستكبرون، كما هو مبين في صريح القرآن العظيم، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الصافات: ٣٥، ٣٦]، لماذا يستكبرون؟ لأنهم يفهمون أن معنىٰ هذه الكلمة أن لا يتخذوا مع الله أنداداً وألا يعبدوا إلا الله، وهم كانوا يعبدون غيره، فهم ينادون غير الله، ويستغيثون بغير الله؛ فضلاً عن النَّذْر لغير الله، والتوسل بغير الله، والذبح لغيره والتحاكم لسواه... إلخ.

هذه الوسائل الشركية الوثنية المعروفة التي كانوا يفعلونها، ومع ذلك كانوا يعلمون أن من لوازم هذه الكلمة الطيبة ـ لا إله إلا الله ـ من حيث اللغة العربية أن يتبرؤوا من كل هذه الأمور؛ لمنافاتها لمعنىٰ «لا إله إلا الله».

• غالب المسلمين اليوم لا يفقهون معنى لا إله إلا الله فهماً جيداً:

أما غالب المسلمين اليوم الذين يشهدون بأن «لا إله إلا الله» فهم لا يفقهون معناها جيداً، بل لعلهم يفهمون معناها فهماً معكوساً ومقلوباً تماماً؛ أضرب لذلك مثلاً: بعضهم ألَّف رسالة في معنىٰ «لا إله إلا الله» ففسرها: «لا رب إلا الله!!». وهذا المعنىٰ هو الذي كان المشركون يؤمنون به وكانوا عليه، ومع ذلك لم ينفعهم إيمانهم هذا، قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ...﴾ [لقمان: ٢٥].

فالمشركون كانوا يؤمنون بأن لهذا الكون خالقاً لا شريك له، ولكنهم كانوا يجعلون مع الله أنداداً وشركاء في عبادته، فهم يؤمنون بأن الرب واحد ولكن يعتقدون بأن المعبودات كثيرة، ولذلك ردَّ الله تعالىٰ ـ هذا الاعتقاد ـ الذي سمَّاه عبادة لغيره من دونه بقوله تعالىٰ: ﴿... وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ...﴾ [الزمر: ٣].

لقد كان المشركون يعلمون أن قول: «لا إله إلا الله» يَلْزَمُ له التبرؤُ من عبادة ما دون الله ﷻ، أما غالب المسلمين اليوم؛ فقد فسَّروا هذه الكلمة الطيبة «لا إله إلا الله» بـ: «لا رب إلا الله!!». فإذا قال المسلم: «لا إله إلا الله»، وعبد مع الله غيره؛ فهو والمشركون سواء، عقيدة، وإن كان ظاهره الإسلام؛ لأنه يقول لفظة: لا إله إلا الله، فهو بهذه العبارة مسلم لفظياً ظاهراً، وهذا مما يوجب علينا جميعاً ـ بصفتنا دعاةً إلىٰ الإسلام ـ الدعوة إلىٰ التوحيد وإقامةَ الحجة علىٰ من جهل معنىٰ «لا إله إلا الله» وهو واقع في خلافها؛ بخلاف المشرك؛ لأنه يأبىٰ أن يقول: «لا إله إلا الله»، فهو ليس مسلماً لا ظاهراً ولا باطناً، فأما جماهير المسلمين اليوم هم مسلمون؛ لأن الرسول ﷺ قال: «**فإذا قالوا لا إلٰه إلا الله عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله ـ تعالى ـ**»[١].

لذلك، فإني أقول كلمة ـ وهي نادرة الصدور مني ـ، وهي: إن واقع كثير من المسلمين اليوم شرٌّ مما كان عليه عامة العرب في الجاهلية الأولىٰ من حيث سوءُ الفهم لمعنىٰ هذه الكلمة الطيبة؛ لأن المشركين العرب كانوا يفهمون، ولكنهم لا يؤمنون، أما غالب المسلمين اليوم، فإنهم يقولون ما لا يعتقدون، يقولون: لا إله إلا الله، ولا يؤمنون ـ حقاً ـ بمعناها، لذلك فأنا أعتقد أن أول واجب علىٰ الدعاة المسلمين ـ حقاً ـ هو أن يدندنوا حول هذه الكلمة وحول بيان معناها بتلخيص، ثم: بتفصيل لوازم هذه الكلمة الطيبة بالإخلاص لله ﷻ في العبادات بكل أنواعها؛ لأن الله ﷻ

(١) **صحيح**: خ: (٢٧٨٦)، م: (٢١).

لما حكىٰ عن المشركين قولهم: ﴿... مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ...﴾ [الزمر: ٣]، جعل كل عبادة توجَّه لغير الله كفراً بالكلمة الطيبة: لا إله إلا الله؛ لهذا؛ أنا أقول اليوم: لا فائدة مطلقاً من تكتيل المسلمين ومن تجميعهم، ثم تركهم في ضلالهم دون فهم هذه الكلمة الطيبة، وهذا لا يفيدهم في الدنيا قبل الآخرة! نحن نعلم قول النبي ﷺ: «**من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صادقاً (وفي رواية: مخلصاً) من قلبه دخل الجنة**»(١). فيمكن ضمان دخول الجنة لمن قالها مخلصاً، حتىٰ لو كان بعد لأي وعذاب يمسُّ القائل والمعتقد الاعتقاد الصحيح لهذه الكلمة، فإنه قد يعذب بناء علىٰ ما ارتكب واجترح من المعاصي والآثام، ولكن سيكون مصيره في النهاية دخول الجنة، وعلىٰ العكس من ذلك؛ من قال هذه الكلمة الطيبة بلسانه، ولما يدخل الإيمان إلىٰ قلبه؛ فذلك لا يفيده شيئاً في الآخرة، قد يفيده في الدنيا النجاة من القتال ومن القتل إذا كان للمسلمين قوة وسلطان، وأما في الآخرة فلا يفيده شيئاً إلا إذا كان قائلاً لها وهو فاهم معناها أولاً، ومعتقداً لهذا المعنىٰ ثانياً؛ لأن الفهم وحده لا يكفي إلا إذا اقترن مع الفهم الإيمانُ بهذا المفهوم، وهذه النقطة؛ أظن أن أكثر الناس عنها غافلون! وهي: لا يلزم من الفهم الإيمان بل لا بد أن يقترن كل من الأمرين مع الآخر حتىٰ يكون مؤمناً، ذلك لأن كثيراً من أهل الكتاب من اليهود والنصارىٰ كانوا يعرفون أن محمداً ﷺ رسول صادق فيما يدّعيه من الرسالة والنبوة، ولكن مع هذه المعرفة التي شهد لهم بها ربنا ﷻ حين قال: ﴿... يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ...﴾ [الأنعام: ٢٠]. ومع ذلك هذه المعرفة ما أغنت عنهم من الله شيئاً! لماذا؟ لأنهم لم يصدقوه فيما يدعيه من النبوة والرسالة، ولذلك فإن الإيمان تسبقه المعرفة ولا تكفي وحدها، بل لا بدّ أن يقترن مع المعرفة

(١) **حسن**: حم: (٥/ ٢٢٩)، (٥/ ٢٣٦)، حب: (٢٠٠)، طب: (٢٠/ ٤١)، ع: (٣/ ٣٥٢)، هب: (١/ ١٤٧)، [«س.ص» (٥/ ٣٤٨/ ٢٢٧٨)].

الإيمان والإذعان، لأن المولىٰ ﷻ يقول في محكم التنزيل: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ . . .﴾ [محمد: ١٩].

وعلىٰ هذا، فإذا قال المسلم: لا إله إلا الله بلسانه؛ فعليه أن يضم إلىٰ ذلك معرفة هذه الكلمة بإيجاز ثم بالتفصيل، فإذا عرف وصدّق وآمن؛ فهو الذي يَصْدُقُ عليه تلك الأحاديث التي ذكرت بعضها آنفاً، ومنها قوله ﷺ مشيراً إلىٰ شيء من التفصيل الذي ذكرته آنفاً: «**من قال: لا إله إلا الله، نفعته يوماً من دهره**»[1]، أي: كانت هذه الكلمة الطيبة بعد معرفة معناها منجية له من الخلود في النار ـ وهذا أكرره لكي يرسخ في الأذهان ـ وقد لا يكون قد قام بمقتضاها من كمال العمل الصالح والانتهاء عن المعاصي ولكنه سلم من الشرك الأكبر وقام بما يقتضيه ويستلزمه شروط الإيمان من الأعمال القلبية ـ والظاهرية حسب اجتهاد بعض أهل العلم وفيه تفصيل ليس هذا محل بسطه ـ؛ وهو تحت المشيئة، وقد يدخل النار جزاء ما ارتكب أو فعل من المعاصي أو أخلّ ببعض الواجبات، ثم تنجيه هذه الكلمة الطيبة أو يعف الله عنه بفضل منه وكرمه، وهذا معنىٰ قوله ﷺ المتقدم ذكره: «**من قال: لا إله إلا الله، نفعته يوماً من دهره**»، أما من قالها بلسانه ولم يفقه معناها، أو فقه معناها ولكنه لم يؤمن بهذا المعنىٰ؛ فهذا لا ينفعه قوله: لا إله إلا الله، إلا في العاجلة إذا كان يعيش في ظل الحكم الإسلامي وليس في الآجلة.

لذلك لا بدّ من التركيز علىٰ الدعوة إلىٰ التوحيد في كل مجتمع أو تكتل إسلامي يسعىٰ ـ حقيقة وحثيثاً ـ إلىٰ ما تدندن به كل الجماعات الإسلامية أو جُلُّها، وهو تحقيق المجتمع الإسلامي وإقامة الدولة المسلمة التي تحكم بما أنزل الله علىٰ أي أرض لا تحكم بما أنزل الله؛ هذه الجماعات أو هذه الطوائف لا يمكنها أن تحقق هذه الغاية ـ التي أجمعوا

---

(١) **صحيح**: طس: (١٢/٤)، طص: (٢٤١/١)، هب: (١٠٩/١)، حل: (٧/ ١٢٦)، [«ص.غ.هـ» (١٥٢٥)].

علىٰ تحقيقها وعلىٰ السعي ـ حثيثاً ـ إلىٰ جعلها حقيقة واقعية ـ إلا بالبدء بما بدأ به الرسول ﷺ.

• وجوب الاهتمام بالعقيدة لا يعني إهمال باقي الشرع من عبادات وسلوك ومعاملات وأخلاق:

وأعيد التنبيه بأنني لا أعني الكلام في بيان الأهم فالمهمّ وما دونه علىٰ أن يقتصر الدعاة فقط علىٰ الدعوة إلىٰ هذه الكلمة الطيبة وفهم معناها، بعد أن أتم الله ﷻ علينا النعمة بإكماله لدينه! بل لا بد لهؤلاء الدعاة أن يحملوا الإسلام كُلًا لا يتجزأ، وأنا حين أقول هذا ـ بعد ذلك البيان الذي خلاصته: أن يهتم الدعاة الإِسلاميون حقاً بأهم ما جاء به الإِسلام، وهو تفهيم المسلمين العقيدة الصحيحة النابعة من الكلمة الطيبة «لا إله إلا الله»، أريد أن أسترعي النظر إلىٰ أن هذا البيان لا يعني أن يفهم المسلم فقط أن معنىٰ: «لا إله إلا الله»، هو لا معبود بحق في الوجود إلا الله فقط! بل هذا يستلزم أيضاً أن يفهم العبادات التي ينبغي أن يُعبد ربنا ﷻ بها، ولا يُوجَّه شيءٌ منها لعبد من عباد الله تبارك وتعالىٰ، فهذا التفصيل لا بدّ أن يقترن بيانه أيضاً بذلك المعنىٰ الموجز للكلمة الطيبة، ويَحسُن أن أضرب مثلاً ـ أو أكثر من مثل؛ حسبما يبدو لي ـ؛ لأن البيان الإِجمالي لا يكفي.

أقول: إن كثيراً من المسلمين الموحدين حقاً والذين لا يوجّهون عبادة من العبادات إلىٰ غير الله ﷻ، ذهنهم خالٍ من كثير من الأفكار والعقائد الصحيحة التي جاء ذكرها في الكتاب والسنة، فكثير من هؤلاء الموحدين يمرون علىٰ كثير من الآيات وبعض الأحاديث التي تتضمن عقيدة وهم غير منتبهين إلىٰ ما تضمنته، مع أنها من تمام الإيمان بالله ﷻ، خذوا مثلاً عقيدة الإيمان بِعُلُوّ الله ﷻ، علىٰ ما خلقه، أنا أعرف بالتجربة أن كثيراً من إخواننا الموحدين السلفيين يعتقدون معنا بأن الله ﷻ علىٰ العرش استوىٰ دون تأويل، ودون تكييف، ولكنهم حين يأتيهم معتزليون

عصريون أو جهميون عصريون، أو ماتريدي أو أشعري ويلقي إليه شبهة قائمة على ظاهر آية لا يفهم معناها الموسوس ولا الموسوس إليه، فيَحار في عقيدته، ويضلُّ عنها بعيداً، لماذا؟ لأنه لم يتلق العقيدة الصحيحة من كل الجوانب التي تعرض لبيانها كتاب ربنا ﷻ وحديث نبينا محمد ﷺ، فحينما يقول المعتزلي المعاصر: الله ﷻ يقول: ﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ . . .﴾ [الملك: ١٥، ١٦]. وأنتم تقولون: إن الله في السماء، وهذا معناه أنكم جعلتم معبودكم في ظرف هو السماء المخلوقة!! فإنه يلقىٰ شبهة علىٰ من أمامه.

- **بيان عدم وضوح العقيدة الصحيحة ولوازمها في أذهان الكثيرين:**

أريد من هذا المثال أن أبين أن عقيدة التوحيد بكل لوازمها ومتطلباتها ليست واضحة ـ للأسف ـ في أذهان كثير ممن آمنوا بالعقيدة السلفية نفسها، فضلاً عن الآخرين الذين اتبعوا العقائد الأشعرية أو الماتريدية أو الجهمية في مثل هذه المسألة، فأنا أرمي بهذا المثال إلىٰ أن المسألة ليست بهذا اليُسر الذي يُصوره اليوم بعض الدعاة الذين يلتقون معنا في الدعوة إلىٰ الكتاب والسنة إن الأمر ليس بالسهولة التي يدّعيها بعضهم، والسبب ما سبق بيانه من الفرق بين جاهلية المشركين الأولين حينما كانوا يُدْعون ليقولوا: لا إله إلا الله فيأبون؛ لأنهم يفهمون معنىٰ هذه الكلمة الطيبة، وبين أكثر الناس المسلمين المعاصرين اليوم حينما يقولون هذه الكلمة؛ ولكنهم لا يفهمون معناها الصحيح، هذا الفرق الجوهري هو الآن متحقق في مثل هذه العقيدة، وأعني بها علو الله ﷻ علىٰ مخلوقاته كلها، فهذا يحتاج إلىٰ بيان، ولا يكفي أن يعتقد المسلم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]. «**ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء**»[(١)]، دون أن يعرف أن كلمة «في» التي وردت في هذا الحديث ليست ظرفية، وهي مثل «في» التي وردت في قوله تعالىٰ:

---

(١) **صحيح**: د: (٤٩٤١)، ت: (١٩٢٤)، ش: (٥/ ٢١٤)، هب: (٧/ ٤٧٦)، هق: (٩/ ٤١)، [«س. ص» (٩٢٥)].

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ . . .﴾ [الملك: ١٥، ١٦]؛ لأن «في» هنا بمعنىٰ «علىٰ» والدليل علىٰ ذلك كثير وكثير جداً؛ فمن ذلك: الحديث السابق المتداول بين ألسنة الناس، وهو بمجموع طرقه ـ والحمد لله ـ صحيح، ومعنىٰ قوله ﷺ: «**ارحموا من في الأرض**» لا يعني الحشرات والديدان التي هي في داخل الأرض! وإنَّما مَن علىٰ الأرض؛ من إنسان وحيوان، وهذا مطابق لقوله ﷺ: «... **يرحمكم من في السماء**»، أي: علىٰ السماء، فمثل هذا التفصيل لا بد للمستجيبين لدعوة الحق أن يكونوا علىٰ بينة منه، ويقرّب هذا: حديث الجارية وهي راعية غنم، وهو مشهورٌ معروفٌ وإنَّما أذكر الشاهد منه؛ حينما سألها رسول الله ﷺ: («**أين الله؟**» قالت له: في السماء)(١). لو سألتَ اليوم كبار شيوخ الأزهر ـ مثلاً ـ أين الله؟ لقالوا لك: في كل مكان! بينما الجارية أجابت بأنه في السماء، وأقرّها النبي ﷺ، لماذا؟؛ لأنها أجابت علىٰ الفطرة، وكانت تعيش بما يمكن أن نسميه بتعبيرنا العصري (بيئة سلفية) لم تتلوث بأي بيئة سيئة ـ بالتعبير العام ـ؛ لأنها تخرّجت كما يقولون اليوم ـ من مدرسة الرسول ﷺ ـ، هذه المدرسة لم تكن خاصة ببعض الرجال ولا ببعض النساء، وإنَّما كانت مشاعة بين الناس وتضم الرجال والنساء وتعم المجتمع بأكمله، ولذلك عرَفتْ راعية الغنم العقيدة؛ لأنها لم تتلوث بأي بيئة سيئة؛ عرفت العقيدة الصحيحة التي جاءت في الكتاب والسنة وهو ما لم يعرفه كثير ممن يدّعي العلم بالكتاب والسنة؛ فلا يعرف أين ربه! مع أنه مذكور في الكتاب والسنة، واليوم أقول: لا يوجد شيء من هذا البيان وهذا الوضوح بين المسلمين بحيث لو سألت ـ لا أقول: راعية غنم ـ بل راعي أُمّة أو جماعة؛ فإنه قد يحار في الجواب كما يُحار الكثيرون اليوم إلا من رحم الله وقليل ما هم!!!

---

(١) **صحيح**: م: (٥٣٧).

• **الدعوة إلى العقيدة الصحيحة تحتاج إلى بذل جهد عظيم ومستمر:**

فإذاً، فالدعوة إلىٰ التوحيد وتثبيتها في قلوب الناس تقتضي منا ألا نمرّ بالآيات دون تفصيل كما في العهد الأول؛ لأنهم ـ أولاً ـ كانوا يفهمون العبارات العربية بيسر، وثانياً: لأنه لم يكن هناك انحراف وزيغ في العقيدة نَبَعَ من الفلسفة وعلم الكلام، فقام ما يعارض العقيدة السليمة، فأوضاعنا اليوم تختلف تماماً عما كان عليه المسلمون الأوائل، فلا يجوز أن نتوهم بأن الدعوة إلىٰ العقيدة الصحيحة هي اليوم من اليسر كما كان الحال في العهد الأول، وأقرّب هذا في مثل لا يختلف فيه اثنان ولا ينتطح فيه عنزان ـ إن شاء الله تعالىٰ ـ:

من اليسر المعروف حينئذ أن الصحابي يسمع الحديث من رسول الله ﷺ مباشرة ثم التابعي يسمع الحديث من الصحابي مباشرة... وهكذا نقف عند القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية، ونسأل: هل كان هناك شيء اسمه علم الحديث؟ الجواب: لا، أما الآن فهذان العلمان لا بد منهما لطالب العلم، وهما من فروض الكفاية؛ وذلك لكي يتمكن العالم اليوم من معرفة الحديث إن كان صحيحاً أو ضعيفاً، فالأمر لم يعد ميسراً سهلاً كما كان ذلك ميسراً للصحابي، لأن الصحابي كان يتلقىٰ الحديث من الصحابة الذين زُكُّوا بشهادة الله ﷻ لهم... إلخ. فما كان يومئذ ميسوراً ليس ميسوراً اليوم من حيث صفاء العلم وثقة مصادر التلقي، لهذا لا بد من ملاحظة هذا الأمر والاهتمام به كما ينبغي مما يتناسب مع المشاكل المحيطة بنا اليوم بصفتنا مسلمين، والتي لم تحط بالمسلمين الأولين من حيث التلوث العقدي الذي سبّب إشكالات وأوجد شبهات من أهل البدع المنحرفين عن العقيدة الصحيحة ومنهج الحق تحت مسميات كثيرة، ومنها الدعوة إلى الكتاب والسنة فقط! كما يزعم ذلك، ويدّعيه المنتسبون إلىٰ علم الكلام.

ويحسن بنا هنا أن نذكر بعض ما جاء في الأحاديث الصحيحة في ذلك ومنها: أن النبي ﷺ لما ذكر الغرباء في بعض تلك الأحاديث، قال:

«**للواحد منهم خمسون من الأجر**»، قالوا: منا يا رسول الله أو منهم؟ قال: «**منكم**»[(١)]. وهذا من نتائج الغربة الشديدة للإسلام اليوم التي لم تكن في الزمن الأول، ولا شك أن غربة الزمن الأول كانت بين شرك صريح وتوحيد خالٍ من كل شائبة، بين كفر بواح وإيمان صادق، أما الآن فالمشكلة بين المسلمين أنفسهم، فأكثرهم توحيده مليء بالشوائب، ويوجه العبادات إلىٰ غير الله ويدعي الإيمان؛ هذه القضية ينبغي الانتباه لها أولاً، وثانياً: لا ينبغي أن يقول بعض الناس: إننا لا بد لنا من الانتقال إلىٰ مرحلة أخرىٰ غير مرحلة التوحيد وهي العمل السياسي!! لأن الإسلام دعوته دعوة حق أولاً، فلا ينبغي أن نقول: نحن عرب والقرآن نزل بلغتنا، مع تذكيرنا أن العرب اليوم عكس الأعاجم الذين استعربوا، بسبب بعدهم عن لغتهم، وهذا ما أبعدهم عن كتاب ربهم وسنة نبيهم، فهب أننا ـ نحن العرب ـ قد فهمنا الإسلام فهماً صحيحاً، فليس من الواجب علينا بأن نعمل عملاً سياسياً، ونحرك الناس تحريكاً سياسياً، ونشغلهم بالسياسة عما يجب عليهم الاشتغال به، في فهم الإسلام: في العقيدة، والعبادة، والمعاملة والسلوك!! فأنا لا أعتقد أن هناك شعباً يُعد بالملايين قد فهم الإسلام فهماً صحيحاً ـ أعني: العقيدة، والعبادة، والسلوك ـ، ورُبّي عليها.

● أساس التغيير هو منهج التصفية والتربية:

ولذلك نحن ندندن أبداً ونركز دائماً حول النقطتين الأساسيتين اللتين هما قاعدة التغيير الحقّ، وهما: التصفية والتربية، فلا بد من الأمرين معاً؛ التصفية والتربية، فإن كان هناك نوع من التصفية في بلد فهو في العقيدة، وهذا ـ بحد ذاته ـ يعتبر عملاً كبيراً وعظيماً أن يحدث في جزء من المجتمع الإسلامي الكبير ـ أعني: شعباً من الشعوب ـ، أما العبادة فتحتاج إلىٰ أن تتخلص من المذهبية الضيقة، والعمل علىٰ الرجوع إلىٰ

(١) **صحيح**: د: (٤٣٤١)، هـ: (٤٠١٤)، طب: (١٧/ ١١٧)، طس: (٣/ ٢٧٢)، بز: (٥/ ١٧٨)، [«س.ص» (٤٩٤)].

السنة الصحيحة، فقد يكون هناك علماء أجلَّاء فهموا الإسلام فهماً صحيحاً من كل الجوانب، لكني لا أعتقد أن فرداً أو اثنين، أو ثلاثة، أو عشرة، أو عشرين يمكنهم أن يقوموا بواجب التصفية؛ تصفية الإسلام من كل ما دخل فيه؛ سواء في العقيدة، أو العبادة، أو السلوك، إنه لا يستطيع أن ينهض بهذا الواجب أفراد قليلون يقومون بتصفية ما علق به من كل دخيل ويُرَبُّوا من حولهم تربية صحيحة سليمة، فالتصفية والتربية الآن مفقودتان.

ولذلك سيكون للتحرك السياسي في أي مجتمع إسلامي لا يحكم بالشرع آثارٌ سيئةٌ قبل تحقيق هاتين القضيتين الهامتين، أما النصيحة فهي تحل محل التحرك السياسي في أي بلد يحكم بالشرع من خلال المشورة أو من خلال إبدائها بالتي هي أحسن بالضوابط الشرعية بعيداً عن لغة الإلزام أو التشهير، فالبلاغ يقيم الحجة ويبرأ الذمَّة.

ومن النصح أيضاً، أن نشغل الناس فيما ينفعهم؛ بتصحيح العقيدة، والعبادة، والسلوك، والمعاملات.

وقد يظن بعضهم أننا نريد تحقيق التربية والتصفية في المجتمع الإسلامي كله! هذا ما لا نفكر فيه ولا نحلم به في المنام؛ لأن هذا تحقيقه مستحيل؛ ولأن الله ﷻ يقول في القرآن الكريم: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾﴾ [هود: ١١٨]. وهؤلاء لا يتحقق فيهم قول ربنا تعالىٰ هذا إلا إذا فهموا الإسلام فهماً صحيحاً وربُّوا أنفسهم وأهليهم ومن كان حولهم علىٰ هذا الإسلام الصحيح.

• من يشتغل بالعمل السياسي؟ ومتى؟

فالاشتغال الآن بالعمل السياسي مشغلة! مع أننا لا ننكره، إلا أننا نؤمن بالتسلسل الشرعي المنطقي في آن واحد، نبدأ بالعقيدة، ونثني بالعبادة، ثم بالسلوك؛ تصحيحاً وتربية، ثم لا بد أن يأتي يوم ندخل فيه في مرحلة السياسة بمفهومها الشرعي؛ لأن السياسة معناها: إدارة شؤون

الأمة، من الذي يدير شؤون الأمة؟ ليس زيداً، وبكراً، وعمراً؛ ممن يؤسس حزباً أو يترأس حركةً، أو يوجّه جماعة!! هذا الأمر خاص بولي الأمر؛ الذي يبايع من قِبَل المسلمين، هذا هو الذي يجب عليه معرفة سياسة الواقع وإدارته، فإذا كان المسلمون غير متحدين ـ كحالنا اليوم ـ فيتولىٰ ذلك كل ولي أمر حسب حدود سلطاته، أما أن نشغل أنفسنا في الأمور لو افترضنا أننا عرفناها حق المعرفة فلا تنفعنا معرفتنا هذه؛ لأننا لا نتمكن من إدارتها، ولأننا لا نملك القرار لإدارة الأمة، وهذا وحده عبث لا طائل تحته، ولنضرب مثلاً: الحروب القائمة ضد المسلمين في كثير من بلاد الإِسلام هل يفيد أن نشعل حماسة المسلمين تجاهها ونحن لا نملك الجهاد الواجب إدارته من إمام مسؤول عُقدت له البيعة؟!. لا فائدة من هذا العمل، ولا نقول: إنه ليس بواجب! ولكننا نقول: إنه أمر سابق لأوانه، ولذلك فعلينا أن نشغل أنفسنا وأن نشغل غيرنا ممن ندعوهم إلىٰ دعوتنا؛ بتفهيمهم الإسلام الصحيح، وتربيتهم تربية صحيحة، أما أن نشغلهم بأمور حماسية وعاطفية، فذلك مما سيصرفهم عن التمكن في فهم الدعوة التي يجب أن يقوم بها كل مكلف من المسلمين؛ كتصحيح العقيدة، وتصحيح العبادة، وتصحيح السلوك، وهي من الفروض العينية التي لا يُعذر المقصر فيها، وأما الأمور الأخرىٰ فبعضها يكون من الأمور الكفائية، كمثل ما يسمىٰ اليوم بـ «فقه الواقع»، والاشتغال بالعمل السياسي الذي هو من مسؤولية من لهم الحل والعقد؛ الذين بإمكانهم أن يستفيدوا من ذلك عملياً، أما أن يعرفه بعض الأفراد الذين ليس بأيديهم حل ولا عقد ويشغلوا جمهور الناس بالمهم عن الأهم، فذلك مما صرفهم عن المعرفة الصحيحة! وهذا ما نلمسه لمس اليد في كثير من مناهج الأحزاب والجماعات الإسلامية اليوم، حيث نعرف أن بعضهم انصرف عن تعليم الشباب المسلم المتكتل والملتف حول هؤلاء الدعاة من أجل أن يتعلم ويفهم العقيدة الصحيحة، والعبادة الصحيحة والسلوك الصحيح، وإذا ببعض هؤلاء الدعاة ينشغلون بالعمل السياسي ومحاولة الدخول في

البرلمانات التي تحكم بغير ما أنزل الله! فصرفهم هذا عن الأهم واشتغلوا بما ليس مهماً في هذه الظروف القائمة الآن.

أما ما جاء في السؤال عن كيفية براءة ذمة المسلم أو مساهمته في تغيير هذا الواقع الأليم؛ فنقول: كلّ من المسلمين بحسبه، العالم منهم يجب عليه ما لا يجب علىٰ غير العالم، وكما أذكر في مثل هذه المناسبة: إن الله ﷻ قد أكمل النعمة بكتابه، وجعله دستوراً للمؤمنين به، من ذلك أن الله تعالىٰ قال: ﴿. . . فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]. فالله سبحانه وتعالىٰ قد جعل المجتمع الإسلامي قسمين: عالماً، وغير عالم، وأوجب علىٰ كل منهما ما لم يوجبه علىٰ الآخر، فعلىٰ الذين ليسوا بعلماء أن يسألوا أهل العلم، وعلىٰ العلماء أن يجيبوهم عما سُئلوا عنه، فالواجبات ـ من هذا المنطلق ـ تختلف باختلاف الأشخاص، فالعالم اليوم عليه أن يدعوَ إلىٰ دعوة الحق في حدود الاستطاعة، وغيرُ العالم عليه أن يسأل عما يهمه بحق نفسه أو من كان راعياً له؛ كزوجة أو ولد أو نحوه، فإذا قام المسلم ـ من كلا الفريقين ـ بما يستطيع؛ فقد نجا؛ لأن الله ﷻ يقول: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

نحن ـ مع الأسف ـ نعيش في مأساة أَلَمَّت بالمسلمين، لا يعرف التاريخ لها مثيلاً، وهو تداعي الكفار علىٰ المسلمين؛ كما أخبر النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ في مثل حديثه المعروف والصحيح: «**يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها**»، فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال: «**بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن**»، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: «**حب الدنيا وكراهية الموت**»(١).

(١) **صحيح**: د: (٤٢٩٧)، حم: (٥/ ٢٧٨)، لس: (٩٩٢)، هب: (٧/ ٢٩٧)، حل: (١/ ١٨٢)، [«س. ص» (٩٥٨)].

فواجب العلماء إذاً، أن يجاهدوا في التصفية والتربية، وذلك بتعليم المسلمين التوحيد الصحيح وتصحيحَ العقائد، والعبادات، والسلوك؛ كلّ حسب طاقته وفي البلاد التي يعيش فيها؛ لأنهم لا يستطيعون القيام بجهاد اليهود في صف واحد ما داموا كحالنا اليوم؛ متفرقين؛ لا يجمعهم بلد واحد ولا صف واحد، فإنهم لا يستطيعون القيام بمثل هذا الجهاد لصد الأعداء الذين تداعوا عليهم، ولكن عليهم أن يتخذوا كل وسيلة شرعية بإمكانهم أن يتخذوها؛ لأننا لا نملك القدرة المادية، ولو استطعنا؛ فإننا لا نستطيع أن نتحرك فعلاً؛ لأن هناك حكومات وقيادات وحكَّاماً في كثير من بلاد المسلمين يتبنون سياسات لا تتفق مع السياسة الشرعية ـ مع الأسف الشديد ـ، لكننا نستطيع أن نحقق ـ بإذن الله تعالىٰ ـ هذين الأمرين العظيمين اللذين ذكرتهما آنفاً وهما: التصفية والتربية، وحينما يقوم الدعاة المسلمون بهذا الواجب المهم جداً في بلد لا يتبنىٰ سياسة لا تتفق مع السياسة الشرعية، ويجتمعون علىٰ هذا الأساس، فأنا أعتقد ـ يومئذ ـ أنه سيصدق عليهم قول الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٤، ٥].

• الواجب على كل مسلم أن يطبق حكم الله في شؤون حياته كلها فيما يستطيعه:

إذاً، واجب كل مسلم أن يعمل ما باستطاعته، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، وليس هناك تلازم بين إقامة التوحيد الصحيح والعبادة الصحيحة، وبين إقامة الدولة الإسلامية في البلاد التي لا تحكم بما أنزل الله؛ لأن أول ما يُحكم بما أنزل الله ـ فيه ـ هو إقامة التوحيد، وهناك ـ بلا شك ـ أمورٌ خاصة وقعت في بعض العصور وهي أن تكون العزلة خيراً من المخالطة، فيعتزل المسلم في شِعبٍ من الشِّعَاب ويعبد ربه، ويكف من شر الناس إليه، وشره إليهم، هذا الأمر قد جاءت فيه أحاديث كثيرة جداً وإن كان الأصل كما جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما:

«المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم»[(١)]. فالدولة المسلمة ـ بلا شك ـ وسيلة لإقامة حكم الله في الأرض، وليست غاية بحد ذاتها.

ومن عجائب بعض الدعاة أنهم يهتمون بما لا يستطيعون القيام به من الأمور، ويدعون ما هو واجب عليهم وميسور!! وذلك بمجاهدة أنفسهم كما قال ذلك الداعية المسلم؛ الذي أوصىٰ أتباعه بقوله: (أقيموا دولة الإسلام في نفوسكم تقم لكم في أرضكم). ومع ذلك فنحن نجد كثيراً من أتباعه يخالفون ذلك، جاعلين جلّ دعوتهم إلىٰ إفراد الله ﷻ بالحكم، ويعبرون عن ذلك بالعبارة المعروفة: «الحاكمية لله». ولا شك بأن الحكم لله وحده ولا شريك له في ذلك ولا في غيره، ولكنهم؛ منهم من يقلد مذهباً من المذاهب الأربعة اليوم، ثم يقول ـ عندما تأتيه السنة الصريحة الصحيحة ـ: هذا خلاف مذهبي! فأين الحكم بما أنزل الله في اتباع السنة؟!

ومنهم من تجده يعبد الله علىٰ الطرق الصوفية! فأين الحكم بما أنزل الله بالتوحيد؟! فهم يطالبون غيرهم بما لا يطالبون به أنفسهم، إن من السهل جداً أن تطبق الحكم بما أنزل الله في عقيدتك، في عبادتك، في سلوكك، في دارك، في تربية أبنائك، في بيعك، في شرائك، بينما من الصعب جداً، أن تجبر أو تزيل ذلك الحاكم الذي يحكم في كثير من أحكامه بغير ما أنزل الله، فلماذا تترك الميسر إلىٰ المعسر؟!.

هذا يدلُّ علىٰ أحد شيئين: إمَّا أن يكون هناك سوء تربية، وسوء توجيه. وإما أن يكون هناك سوء عقيدة تدفعهم وتصرفهم إلىٰ الاهتمام بما لا يستطيعون تحقيقه عن الاهتمام بما هو داخل في استطاعتهم، فأما اليوم فلا أرىٰ إلا الاشتغال كلّ الاشتغال بالتصفية والتربية ودعوة الناس إلىٰ

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٥٠٧)، هـ: (٤٠٣٢)، حم: (٥/ ٣٦٥)، خد: (٣٨٨)، لس: (١٨٧٦)، حل: (٧/ ٣٦٥)، [«س.ص» (٩٣٩)].

صحيح العقيدة والعبادة؛ كلٌّ في حدود استطاعته، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها، والحمد لله رب العالمين.

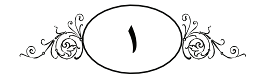
وصلىٰ الله وسلم علىٰ نبينا محمد وعلى آله وسلم.

❁ ❁ ❁

الرموز المستخدمة في التخريج

خ: صحيح البخاري.
م: صحيح مسلم.
د: سنن أبي داود.
ت: سنن الترمذي.
ن: سنن النسائي.
هـ: سنن ابن ماجه.
حم: مسند أحمد.
حب: صحيح ابن حبان.
خز: صحيح ابن خزيمة.
طب: المعجم الكبير للطبراني.
طس: المعجم الأوسط للطبراني.
طص: المعجم الصغير للطبراني.
ش: مصنف ابن أبي شيبة.
عب: مصنف عبد الرزّاق.
قط: سنن الدارقطني.
مي: سنن الدارمي.
ك: المستدرك على الصحيحين.
فع: مسند الشافعي.
ع: مسند أبي يعلى.
لس: مسند الطيالسي.

خد: الأدب المفرد للبخاري.
هب: شعب الإيمان للبيهقي.
هق: السنن الكبرى للبيهقي.
حل: حلية الأولياء لأبي نعيم.
(ص.ت): صحيح سنن الترمذي.
(ص.د): صحيح سنن أبي داود.
(ص.ن): صحيح سنن النسائي.
(ص.هـ): صحيح سنن ابن ماجه.
(ص.خد): صحيح الأدب المفرد.
(ص.غ.هـ): صحيح الترغيب والترهيب.
(ض.غ.هـ): ضعيف الترغيب والترهيب.
(س.ص): السلسلة الصحيحة.
(ص.ج): صحيح الجامع الصغير.
(ض.ج): ضعيف الجامع.
المشكاة: مشكاة المصابيح.
إرواء الغليل: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل.
الموسوعة الحديثية: مسند الإمام أحمد.



أهمية العقيدة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾ [النساء: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: «فإن أصدق الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، وكل ضلالة في النار»(١).

---

(١) **صحيح**: د: (٢١١٨)، ت: (١١٠٥)، ن: (١٤٠٤)، هـ: (١٨٩٢)، حم: (١/ ٣٩٢)، مي: (٢٢٠٢)، ك: (٢/ ١٩٩)، لس: (٣٣٨)، طب: (١٠/ ٩٨)، وللشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة قيمة بعنوان «خطبة الحاجة».

أيها الإخوة! موعدنا اليوم مع بداية سلسلةٍ جديدة من الخطب، وهي بعنوان:

العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون

والذي دفعني للحديث في العقيدة **أمران اثنان**:

الأمر الأول: حُبي لكم في الله، وحرصي أن أُقدِّم لكم العقيدة الإسلامية الصحيحة في صورة ميسّرة؛ لعلمي أن سعادة العبد في الدنيا والآخرة بالعقيدة الصحيحة، ﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْۚ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ [غافر: ٤٤].

الأمر الثاني: علمي بكم بعد عشر سنوات في هذا المسجد أنكم ـ يا روّاد هذا المسجد ـ على درجة عالية من الفهم والعقل، ولا أزكيكم على الله، وهو حسيبكم.

إخواني: الكلام في العقيدة ربما يطول بنا؛ فإنْ وُفّقت في تقديمها فمن الله وحده، والفضل كله لله، ﴿وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [هود: ٨٨]، وإن كانت الأخرى ـ والعياذ بالله ـ؛ فأستغفر الله وحده، وأتوب إليه قبل أن ألقاه، واللّهَ أسأل أن يرزقني حسن البيان ويرزقكم حسن الفهم. ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾ وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِى ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا۟ قَوْلِى ﴿٢٨﴾﴾ [طه: ٢٥ ـ ٢٨].

أمّة التوحيد: العقيدة في الإسلام ليست تَرَفاً في التفكير، ولا نافلةً في القولِ، ولا حاشيةً على هامش الحياة، ولا مظهراً من مظاهر الضعف أو الخوف...

وإنّما العقيدة هي فطرة الله التي فطر الناس عليها، وحاجةٌ مُلِحَّةٌ للنفس والروح؛ بحيثُ إذا فُقدت العقيدة تركتْ فراغاً في النفس لا يُملأ، وجوعة في الروح لا تسد، وخراباً في الضمير لا يعمر، نعم؛ واللّهِ!...

***إخوة الإسلام!* ما هي العقيدة؟**

العقيدة هي ما يَدين الإنسانُ به ربه ـ جلَّ وعلا ـ، وما يعقد قلبه عليه،

بحيث تتغلغل في أعماق النفس، فتصعب زعزعتها أو دخول الشك فيها، فالجبال تتحرك من أماكنها والعقيدة ثابتة في قلب المؤمن لا تتحرك.

وقالوا: العقيدة: هي الأمور التي يجب أن يصدِّق بها قلبك، وتطمئن إليها نفسك، وتكون يقيناً عندك، ولا يمازجها ريبٌ ولا يخالطها شكٌّ.

العقيدة ليست كلاماً يقال! وإنما هي شيء يوضع في القلب، فتعقد عليه قلبك، لتلقى الله عليه.

***إخوة الإسلام!* من أين نأخذ عقيدتنا؟**

هل نأخذها من كتب الفلاسفة؟! من الشرق والغرب؟! لا... عبر شاشات المفسديون؟! بقراءة الجريدة اليومية؟! لا لا لا... بل نأخذ عقيدتنا من كتاب ربنا الذي ﴿لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤٢]. ومن سنّة نبينا ﷺ الذي قال الله فيه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤]. ولذلك قال ﷺ: «**تَرَكْتُ فيكمْ شيئين: لَنْ تَضلُّوا بعدهُما: كِتابَ اللّهِ، وسُنّتي، ولنْ يتفرَّقا حتَّى يرِدا عليَّ الحوض**»[(١)].

إذن: ما هذا الضلال الذي تعيشه الأمة!؟ وما سببُ هذا الانحطاط الذي تعيشه الأمة!؟

السبب أنهم تركوا كتاب ربهم وسنّة نبيهم، فضلُّوا وأضلُّوا، وإن أرادوا العزة والسيادة فعليهم أن يعودوا إلى كتاب ربهم وسنّة نبيهم.

***إخوة الإسلام!* كيف نفهم عقيدتنا من الكتاب والسنّة؟.**

نفهم عقيدتنا من الكتاب والسنّة كما فهمها الرعيل الأول ـ رجال الإسلام ـ الذين غيّروا مسار التاريخ، أتعرفونهم؟ إنهم أصحاب محمد ﷺ، وما الضَّيْرُ في ذلك: أن نفهم عقيدتنا كما فهموا؟! والله ﷻ يقول عنهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ

---

(١) **صحيح**: ك: (١/ ١٧٢)، [«ص.ج» (٢٩٣٧)].

عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠]، ويقول ﷺ: **«وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة، كلهم في النار إلا ملة واحدة»**، قالوا: ومن هي يا رسول الله؟ قال: **«ما أنا عليه وأصحابي»**[1].

إخوة الإسلام! وهنا سؤال يفرض نفسه علينا الآن، ألا وهو: لماذا العقيدة أولاً؟ لماذا نبدأ بالعقيدة أولاً؟ لماذا لا نبدأ أولاً بالتجميع، ثم بالجهاد، ثم نتعلمُ العقيدة ثانياً؟!.

افهموا وعُوا عني ـ يا عباد الله ـ: لماذا العقيدة أولاً؟ سؤال يتكوّن من ثلاث كلمات، نوجّههُ إلى كل مسلم ومسلمة في بقاع الدنيا، والإجابة عن هذا السؤال نقدمها في هذه الجمعة، وفي الجُمع القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ إن كان في العمر بقية؛ لعلَّنا نستيقظ من نومنا العميق، ومن رقدتنا التي طالت، فننتبه من غفلتنا قبل فوات الأوان.

١ ـ لماذا العقيدة أولاً؟

لأنها هي أصل الدين وأساس الملة، فلو قال قائل: أنا أستطيع أن أبني الطابق الثاني قبل الأول، فهل يُعقل هذا؟! هل يخرج هذا الكلام من عاقل؟! أو قال قائل: أنا أستطيع أن أبني داراً على أمواج البحر! فهل يُعْقل هذا؟! هذا خيال! وكفانا خيالاً، هذا استعجال! وكفانا استعجالًا؛ فقد ضاعت الأمة وضاعت الجهود بسبب العواطف الهدامة التي لا تتقيّدُ بالكتاب والسنّة.

٢ ـ العقيدة أولاً:

لأنها الأساس، فالأساس إذا كان سليماً صحيحاً قوياً؛ فالبناء الذي يُبنى عليه يكون قوياً ثابتاً لا يتزحزحُ؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾

---

(١) **حسن**: ت: (٢٦٤١)، طس: (٤٨٨٦)، طص: (٧٢٤)، [«ص.ج» (٥٣٤٣)].

[إبراهيم: ٢٤، ٢٥]، الشجرة ثابتة، فرعها في السماء، تؤتي ثَمَرَها كل حين بإذن ربها؛ لأنها ثابتة.

أما إذا كان الأساس هشًّا ضعيفاً، فسرعان ما يزول؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ﴿٢٦﴾﴾ [إبراهيم: ٢٦].

إخوة الإسلام! لذلك ما من أمة إلا خلا فيها نذير يَبني ويُقَعِّدُ هذا الأساس؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [النحل: ٣٦].

فهذا نبي الله نوح يقول لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

وهذا نبي الله هود يقول لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [هود: ٥٠].

وهذا نبي الله صالح يقول لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [هود: ٦١].

ورسولنا ﷺ مَكَثَ ثلاثة عشر عاماً في مكة، يؤسس هذا الأساس، ـ أتعرفون ذلك؟! ـ يقول: «**يا قوم قولوا: لا إله إلا الله**»، حتى قالوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾ [ص: ٥].

وقد اهتم الرسول ﷺ بهذا الأساس اهتماماً بالغاً حتى لقي ربه، قال رجلٌ مرة بين يَدَيه ﷺ: ما شاء اللّهُ وشئتَ؛ فيقول له ﷺ غَضِباً: «**أجعلتني لله نداً! قل: ما شاء الله وحده**»[1]، نعم؛ ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩].

---

(١) **صحيح**: خد: (٧٨٣)، حل: (٤/ ٩٩)، حم: (١/ ٢١٤)، طب: (١٢/ ٢٤٤)، ش: (٥/ ٣٤٠)، [«س.ص» (١٣٩)].

ويقول ﷺ: «**منْ حلفَ بغير الله فقد أشرك**»[١]. ويقول ﷺ مهتماً بهذا الأساس: «**من أتى عرّافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول؛ فقد كفر بما أنزل على محمد**»[٢].

واهتم رسولنا ﷺ بهذا الأساس حتى عند الأطفال؛ فيقول ﷺ لابن عباس ـ وهو غلامٌ ـ: «**يا غلامُ! إني أُعلِّمكَ كلماتٍ: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجدهُ تجاهكَ، إذا سألتَ فاسألِ الله، وإذا استعنتَ فاستعن باللّهِ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروكَ بشيءٍ لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف**»[٣]؛ أي: ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

إخوة الإسلام! **هل نحن أفضل من الأنبياء؟**

فقد بدأوا بالعقيدة، التي هي الأساس.

٣ ـ العقيدة أولاً:

لأن الأعمال والأقوال لن تقبل عند الله إلا بالعقيدة الصحيحة، فإذا صدرت الأقوال والأعمال والعبادات من صاحب عقيدة صحيحة قُبِلَتْ عند الله، ووجد ثوابها عند الله يوم القيامة؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]، وقال ـ تعالى ـ: ﴿**وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾**﴾ [النساء: ١٢٤].

أما إذا صدرت الأعمال والأقوال من صاحب عقيدة فاسدة؛ فهي

---

(١) **صحيح**: د: (٣٢٥١)، ت: (١٥٣٥)، حم: (٢/ ١٢٥)، ك: (٤/ ٣٣٠)، [«ص.ج» (٦٢٠٤)].

(٢) **صحيح**: ك: (١/ ٤٩)، طس: (٢/ ١٢٢)، هق: (٨/ ١٣٥)، [«ص.ج» (٥٩٣٩)].

(٣) **صحيح**: ت: (٢٥١٦)، حم: (١/ ٢٩٣)، ك: (٣/ ٦٢٣)، [«ص.ج» (٧٩٥٧)].

مردودة عليه، ولا يجد لها ثواباً عند الله يوم القيامة، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥].

وقال ـ سبحانه ـ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾ [الزمر: ٦٥].

٤ ـ العقيدة أولاً:

لأنها ضرورية للإنسان أعظم من ضرورة الماء والهواء، فإن استطاع الإنسان أن يعيش بدون الماء والهواء؛ قلنا: إنه يستطيع أن يعيش بدون العقيدة؛ فالإنسان بدون العقيدة ضائع، تائه، معذب؛ يفقدُ ذاته ووجوده...

وبالمثال يتضح البيان: فهذا سائلٌ بدون عقيدة، ضائع تائه معذب، وهذا شعره بين أيديكم؛ لتنظروا ماذا يكون الإنسان بدون عقيدة؟ لا شيء...

يقول الشاعر الضائع المعذَّب:

جئتُ، لا أعلمُ من أين ولكنّي أتيتُ
ولقد أبصرتُ قُدَّامي طريقاً فمشيتُ
وسأبقى سائراً إن شئت هذا أم أبيتُ
كيف جئتُ؟ كيف أبصرتُ طريقي؟
لـــــستُ أدري!

يقول الشاعر:

أجديدٌ أم قديمٌ أنا في هذا الوجود؟
هل أنا حرٌّ طليقٌ أم أسيرٌ في قيود؟

هل أنا قائدُ نفسي في حياتي أم مَقود؟
أتمنى أنني أدري...
ولكنني لست أدري!

يقول الشاعر:

أتراني قبلما أصبحتُ إنساناً سوياً
كنت محواً أو محالاً أم تراني كنتُ شَيًّا
ألهذا اللغز حَلٌّ؟ أم سيبقى أبدياً
لست أدري... ولماذا لست أدري؟
لستُ أدري!

يقول الشاعر:

أَوَراءَ القبر بعد الموتِ بعثٌ ونشور؟
فحياةٌ فخلودٌ أم فناءٌ فثبور؟
أكلامُ الناسِ صدقٌ أم كلامُ الناسِ زور؟
أصحيحٌ أن بعضَ الناسِ يدري؟
لستُ أدري!

نعم؛ بدون العقيدة لا يدري المرءُ من الذي خلقه، ولعل يقول قائل: وهل على وجه الأرض من لا يعرف هذا؟! نقول: نعم؛ أما سمعتم من شبابنا الذين تربوا في بلاد الإسلام وبعدما ذهبوا إلى بلاد الإلحاد مُسخوا، فرجعوا إلى بلادهم لا يعترفون بوجود الله! لا يعترفون بالذي أوجدهم! ولا يعترف الواحد منهم بأمه! بل يستحلُّ أمَّهُ!! ويستحل أخته!! وليس عنده حلال ولا حرام! فيعيش ضائعاً تائهاً!!!

هكذا تربوا! هكذا مُسخوا!! أما بالعقيدة الصحيحة؛ فالإنسانُ يدري: يدري من الذي خلقه، ولماذا خلقه، ويدري ماذا سيكون بعد هذه الدنيا، ويدري ماذا سيكون يوم القيامة، ويدري أن الناس فريقان: فريق في الجنة وفريق في السعير.

إخوة الإسلام! أفمن يدري كمَن لا يدري؟!!!

قـال ـ تـعـالـى ـ: ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [تبارك: ٢٢].

سؤال رباني نوجهه إلى كل مسلم:

الذي يمشي مكبّاً على وجهه هو صاحب العقيدة الفاسدة، والذي يمشي سوياً على صراط مستقيم هو صاحب العقيدة الصحيحة، أفيكون الأول أهدى من الثاني؟ كلا، والله!! إذن؛ العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون.

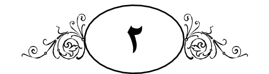
قال ـ تعالى ـ: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾﴾ [الرعد: ١٩].

٥ ـ العقيدة أولاً:

لأنها هي التي تربي الرجال، ونؤجّل هذا البند إلى الجمعة القادمة ـ إن شاء الله تعالى ـ؛ لتعلموا أن الرجال لا يثبتون إلا بالعقيدة الصحيحة التي كان عليها الرعيل الأول، فبالعقيدة ينجحون في الامتحان، وبالعقيدة يثبتون عند الابتلاء، وبالعقيدة ينتصرون على الأعداء.

اللّهم ردّ المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً





لماذا العقيدة أولاً؟

عباد الله!

في الجمعة الماضية بدأنا الحديثَ عن العقيدة، وفَرَضَ سؤالٌ نفسَه علينا، وهو: لماذا العقيدة أولاً...؟ وكان جوابنا عليه أن قلنا: لأنها هي أساس الدين، والأساس إن كان قوياً فالبناء يكون قوياً ثابتاً إلى يوم القيامة، وإن كان ضعيفاً هشّاً فسرعان ما يزول، وقلنا: العقيدة أولاً؛ لأن الأقوال والأعمال التي يتقرّب بها العبد إلى ربه ـ جلَّ وعلا ـ لا تقبل إلا بالعقيدة الصحيحة.

قال ـ تعالى ـ عن أصحاب العقيدة الصحيحة: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنۡهُمۡ أَحۡسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَعۡدَ ٱلصِّدۡقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ١٦﴾ [الأحقاف: ١٦]، وقال ـ تعالى ـ عن أصحاب العقيدة الفاسدة: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا ٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣].

وقلنا ـ أيضاً ـ: العقيدة أولاً؛ لأنها ضرورية للإنسان ضرورة الماء والهواء، فكما لا يمكنه أن يعيش بدون الماء والهواء؛ فكذلك لا يمكنه أن يعيش بدون العقيدة الصحيحة! ولو عاش بعقيدة فاسدة فهو معذب ضائع تائه. ينتقل من كاهن إلى كاهن، ومن عرّاف إلى عرّاف، ومن مشعوذ إلى مشعوذ!!... يتحطم في الدنيا، يتمنى الموت والفناء!!.

إخوة الإسلام! وفي هذا اليوم نُكمل الإجابة عن هذا السؤال (لماذا العقيدة أولاً؟)، فنقول: لأنها هي التي تربّي الرجال، والرجال الذين تربوا على العقيدة الصحيحة هم الذين يثبتون عند الامتحان والابتلاء، والإنسان في هذه الدنيا خُلِقَ للامتحان والابتلاء. إياك أن تظن ـ يا عبد الله ـ أنك

خلقت في هذه الدنيا لتلعب وتلهو!! إنما خُلِقت للامتحان والابتلاء؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان: ٢]، والابتلاءُ سنّة من سنن الله في عباده، ولا يكون بالضرَّاء فحسب؛ بل يكون بالسرَّاء والضرَّاء، والشر والخير، والحسنات والسيئات، والفقر والغنى، والمرض والصحة، فأنت في هذه الدنيا تتقلب دائماً في ابتلاء بعد ابتلاء، وامتحان بعد امتحان.

قال ـ تعالى ـ: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الأنبياء: ٣٥].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ في تفسيره لهذه الآية: (أي: نختبركم بالمصائب تارة وبالنعم تارة أخرى؛ لننظر من يكفر ومن يشكر، ومن يصبر ومن يقنط).

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ ۖ وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾﴾ [الأعراف: ١٦٨].

والحسنات: هي كل ما تحبه النفس من حظوظ الدنيا الفانية، والسيئات: هي ما تكرهُهُ النفس من حظوظ الدنيا؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ﴾ [الفجر: ١٥ ـ ١٧].

يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿كَلَّا ۖ﴾: إنما هو الابتلاء بالسراء والضراء، بالحسنات والسيئات، بالصحة والمرض. والابتلاء ـ يا عباد الله ـ لا بد منه، ولا ينجو من الابتلاء أحد! إنه سنّةُ الله في خلقه؛ ليميز الخبيث من الطيب، وليعلم الصادق من الكاذب.

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

عباد الله! من الذي ينجح في هذا الامتحان؟ إنه صاحب العقيدة الصحيحة فقط، ولا ينجح أحد سواه؛ قال ﷺ: «**عجباً لأمر المؤمن! إن**

أمره كُلَّهُ له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سرّاءُ شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضرّاءُ صبر، فكان خيراً له»(١).

صاحب العقيدة الصحيحة إذا أصابته سرّاءُ شَكَرَ؛ فبعقيدته الصحيحة يعلم أنها من الله؛ كما أخبر ـ سبحانه ـ بقوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ. . .﴾ [النحل: ٥٣] فَشكَرَ لأن الله ﷻ قال: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝٧﴾ [إبراهيم: ٧]، وإذا أصابته ضراءُ صبر؛ لأنه يعلم قوله ـ تعالى ـ: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١٧﴾ [الأنعام: ١٧].

أمة الإسلام! وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف لهذا الضر إلا هو ـ سبحانه في علاه ـ، إذن إذا نزلت بك نعمة فاشكر؛ لتنجح في الامتحان، وإذا نزلت بك مصيبة فاصبر؛ لتنجح في الامتحان.

لأجل ذلك ـ يا عباد الله ـ: ربي رسولنا الكريم ﷺ أصحابه وأمته على العقيدة الصحيحة، لماذا؟ لأن الإنسان بالعقيدة يثبت عند الابتلاء، فيفوز بالرضوان، وينتصر على الأعداء، يقول خبَّاب بن الأَرَتّ رضي الله عنه: شكونا إلى رسول الله ﷺ، وهو متوسِّدٌ بُردةً له في ظل الكعبة، فقلنا: ألا تستنصر لنا؟! ألا تدعو لنا؟! فقال: «**قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيُحْفَرُ له في الأرض، فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار، فيوضعُ على رأسه، فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه وعظمه، فما يصده ذلك عن دينه! والله ليُتِمَّنَّ هذا الأمر، حتى يسير الراكبُ من صنعاء إلى حضرمَوت لا يخاف إلا اللّهَ والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون!**»(٢).

الجبال تتزحزح والعقيدة في قلبه ثابتة لا تتزحزح؛ يقول ﷺ مربياً لخباب بن الأَرَتِّ ولأصحابه وللأمةِ بأسرها: «**ما يصده ذلك عن دينه، ولكنكم تستعجلون**».

---

(١) **صحيح**: م: (٢٩٩٩).

(٢) **صحيح**: خ: (٦٥٤٤).

يا أمة الإسلام: ولكنكم تستعجلون! يا شباب الإسلام! ولكنكم تستعجلون! كفانا عاطفة! كفانا تهوُّراً! لستم أكرم من خبَّاب على رسول الله! فلم يقل له ﷺ: سأصنع لك حزباً، أو: سأصنع لك جماعة، وسأنتقم من الكفار الذين يعذبونك!! لا؛ ربَّاه على العقيدة وربّى الأمة على العقيدة، وبيّن لهم أن النصر من عند الله، ولا يكون أبداً إلا بالعقيدة الصحيحة.

«ولكنكم تستعجلون»! فبالاستعجال أُكِلَت الثمار وهي غيرُ ناضجة، وبالاستعجال امتلأت السجون بشباب المسلمين! إن دلّ هذا على شيء فإنما يدل على جهلٍ في التفكير، وعلى عاطفة غير مقيدة بالكتاب ولا بالسنّة! هذا بلال الذي تربَّى على العقيدة الصحيحة، يُلقى على وجهه في الصحراء في جوّ مكة الذي تعرفونه ويوضع على ظهره ويسحب، وتوضع الصخور الثقيلة على صدره، ويُطْلَبُ منه أن يتزحزحَ وأن يرتد عن دين محمدٍ فيقول: أَحَدٌ أَحَدٌ. وهذا عمار بن ياسر وأبوه وأمه، وقد عذّبوا في الله عذاباً شديداً، ومع ذلك يمرّ المصطفى ﷺ الرحيم بهم ويراهم وهم يعذبون، فيقول: «**صبراً يا آل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة**»[(١)]، لمَ قال لهم ذلك؟! لأنه ﷺ يعلم أن الابتلاء يصنع الرجال، وأن الرجال لا يثبتون إلا بالعقيدة الصحيحة.

إخوة الإسلام! تعالوا بنا نشهد مشهداً واحداً لِرجال الإسلام؛ الرعيل الأول الذين تربوا على العقيدة الصحيحة لنعلم جميعاً ـ يا أمة الإسلام ـ أنها العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون.

في يوم الأحزاب، وما أدراك ما يوم الأحزاب! يوم شديد! يوم عصيب! زاغت فيه الأبصار، وبلغت فيه القلوب الحناجر! وزلزلوا زلزالاً شديداً حتى قال الرسول والذين آمنوا معه: متى نصر الله؟!.

---

(١) **حسن صحيح**: ك: (٣/ ٤٣٢)، طب: (٢٤/ ٣٠٣)، هب: (٢/ ٢٣٩)، [«تخريج أحاديث فقه السيرة»].

يقول الله ﷻ في وصف هذا اليوم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب: ٩ ـ ١١].

فتعالَوْا بنا ـ يا عباد الله ـ لننظر إلى أصحاب العقيدة الصحيحة ماذا قالوا، وكيف كانوا في هذا الامتحان!.

يقول ربنا في وصفهم: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢]، قالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله، لِمَ؟ لأنهم يعتقدون أنهم ملاقوا الله؛ لأنهم يعتقدون أن النصر من عند الله؛ لأنهم يعتقدون أن الغلبة ليست بالكثرة، إنما الغلبة بإذن الله.

قال ـ تعالى ـ: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣].

انظروا ـ يا عباد الله ـ إلى الفريق الآخر إلى أصحاب العقيدة الفاسدة في يوم الأحزاب، فقد سقطوا من اللحظة الأولى، كما قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَا فِي ٱلۡفِتۡنَةِ سَقَطُواْۗ﴾ [التوبة: ٤٩] ماذا قال هؤلاء؟ يقول رب العزة في وصف هؤلاء: ﴿وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا ﴿١٢﴾ وَإِذۡ قَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡهُمۡ يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ وَيَسۡتَـٔۡذِنُ فَرِيقٞ مِّنۡهُمُ ٱلنَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوۡرَةٞ وَمَا هِيَ بِعَوۡرَةٍۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارٗا ﴿١٣﴾﴾ [الأحزاب: ١٢، ١٣]، عقيدة فاسدة؛ جعلتهم يسقطون في الامتحان من أول وهلة، وفي هؤلاء يقول ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [العنكبوت: ١٠].

مرضىٰ القلوب، يدَّعون الإيمان وما هم بمؤمنين! يقولون بأفواههم

ما ليس في قلوبهم! ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخۡدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [البقرة: ٩].

قال ـ تعالى ـ في أمثال هؤلاء: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾﴾ [الحج: ١١].

عباد الله! انظروا إلى نتيجة المعركة يوم الأحزاب! لمن كان النصر؟ لأصحاب العقيدة الصحيحة؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيۡظِهِمۡ لَمۡ يَنَالُواْ خَيۡرٗاۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلۡقِتَالَۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزٗا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب: ٢٥] هل انتصروا بقوة السلاح؟! هل انتصروا بقوة العضلات؟! هل انتصروا بالكثرة؟! إنها العقيدة الصحيحة التي اجتمعوا وتربَّوا عليها.

عباد الله! المؤمن في هذه الدنيا مُعَرَّضٌ دائماً لنزول المصائب على رأسه في كل لحظة، وليس ذلك بغضاً من الله له، ولا كراهية من الله له! إنما هي محبة الله لعبده المؤمن؛ قال ﷺ: «**إذا أراد الله بعبده الخير عجَّلَ لهُ العُقُوبةَ في الدنيا، وإذا أراد اللّهُ بعبدِه الشر أمسك عنهُ بذنبهِ حتى يُوافي به يوم القيامة**»[(١)].

ويقول ﷺ: «**إن عِظَمَ الجَزاءِ مع عِظَمَ البلاء، وإن الله ـ تعالى ـ إذا أحب قوماً ابتلاهُمْ؛ فمن رضي فلهُ الرضا، ومن سخط فلهُ السخط**»[(٢)].

ويقول ﷺ: «**ما يزالُ البلاءُ بالمؤمن والمؤمنة في نفسهِ وولدهِ ومالهِ حتى يلقى الله ـ تعالى ـ وما عليه خطيئة**»[(٣)].

فيا من لا يصبرون على البلاء! ويا من يركضون إلى المشعوذين! أنسيتم المرأة التي كانت تُصرع، فجاءت إلى النبي ﷺ، (قالت: إني أُصرعُ وإني أتكشَّفُ، فادعُ الله ـ تعالى ـ لي، قال: «**إن شئت صبرت ولك**

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٣٩٦)، [«ص.ج» (٣٠٨)].
(٢) **حسن**: ت: (٢٣٩٦)، هـ: (٤٠٣١)، [«ص.ج» (٢١١٠)].
(٣) **صحيح**: ت: (٢٣٩٩)، [«ص.ج» (٥٨١٥)].

الجنةُ، وإن شئتِ دعوتُ الله ـ تعالى ـ أن يُعافيك»، قالت: أصبر، قالت: فإني أتكشّفُ، فادع الله أن لا أتكشّف، فدعا لها)[١].

أمة الإسلام! الذي يصرع يقول: إني مسحور! الفتاة التي لا يأتيها زوج تقول: إني مسحورة! والشاب الذي لا يجد عملًا يقول: إني مسحور! والتاجر الذي يأتي آخر النهار ولا يبيع يقول: إني مسحور! عقيدة فاسدة!! أين الصبر والأخذ بالأسباب؟!! لا يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة حتى يلقى الله ما عليه خطيئة.

والمؤمن صاحب العقيدة الصحيحة هو الذي إذا نزل به البلاء حمد الله واسترجع؛ أي: قال: إنَّا لله وإنَّا إليه راجعون. العقيدة الصحيحة تجعلك إذا نزل بك البلاء في نفسك ـ من مرض ـ أو في مالك، تقول: إنا لله وإنا إليه راجعون. هي العقيدة، (إنا لله) أي: تعترف أنك لله عبد، (وإنا إليه راجعون) أي: تعتقد أنك راجع إلى الله.

﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٧].

وبشر الصابرين أصحاب العقيدة الصحيحة الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون.

وبالمثال يتضح البيان ليتبين لكم أن العقيدة تُثَبِّت عند الصدمة الأولى، فالصدمات كثيرة، ولكن هذه مصيبةٌ عظيمةٌ ما أُصبنا بمثلها، أتدرون ما هي؟! هي موت رسول الله ﷺ، مصيبة كبيرة أصابت المسلمين، ولكن انظروا إلى العقيدة، ماذا تفعل بأصحابها إذا نزلت بهم المصائب؟! فإنّ أصحاب المصطفى ﷺ كانوا رجالاً يحبون الرسول ﷺ

---

(١) **صحيح**: خ: (٥٣٢٨)، م: (٢٥٧٦).

حباً عظيماً أكثر من أنفسهم وأموالهم والناس أجمعين، فلما مات ﷺ وانتشر الخبر تأثَّروا؛ فهذا صحابي يقول: لا، ما مات رسول الله! وآخر يقول: مات ﷺ! وهذا ثالثٌ وقع على الأرض!.

موقف شديد ما تعرَّضت الأمة لمثله، انظروا إلى العقيدة؛ من الذي يستطيع أن يتكلم في هذا الموقف؟ واللهِ نحن لا نقدرُ، ولكن انظروا إلى الرجال الذين تربوا على العقيدة، كيف يأخذون بزمام الأمور؟ وكيف يتلقون الصدمة؟ بـ(إنّا لله وإنا إليه راجعون). فهذا أبو بكر يقف خطيباً في الناس فيقول: (من كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً ﷺ قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت)[1].

إنها العقيدة حتى في هذه الشدة، ثم تلا عليهم قوله ـ تعالى ـ وكأنهم أول مرةٍ يسمعونه: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤٤]. كانوا يُقِرّون أنه ميت وأنهم ميتون، ولكنها الصدمة، وعند الصدمة يثبت أصحاب العقيدة السليمة، فلما عرفوا أنه ﷺ قد مات رضوا بقضاء الله وقدره.

موقف آخر: موقف فاطمة رضي الله عنها لما مات رسول الله ﷺ فقالت: (يا أبتاه أجابَ رباً دعاهُ، يا أبتاهُ مَن جنةُ الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، فلما دُفن قالت فاطمةُ رضي الله عنها: يا أنس أطابت أنفُسُكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟)[2].

إنها العقيدة أولاً لو كانوا يعلمون.

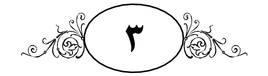
اللّهم يا ذا الجلال والإكرام

ردّ المسلمين إلى عقيدتهم الصحيحة ردّاً جميلاً

❀ ❀ ❀

(١) **صحيح**: خ: (١١٨٥).

(٢) **صحيح**: خ: (٤١٩٣).



لماذا العقيدة أولاً؟

عباد الله!

والسؤال ما يزال يفرض نفسه علينا: لماذا العقيدة أولاً؟ أي: لماذا يجب على المسلمين وعلى الدعاة أن يهتموا بأمر العقيدة، وأن يربّوا المسلمين على العقيدة الصحيحة أولاً قبل أن ينشغلوا بأي أمر آخر؟!.

قلنا في الجمعة الماضية: العقيدة أولاً؛ لأنها هي التي تربّي الرجال وهي التي تثبِّتُ عند الصدمة الأولى، ونقول في هذا اليوم: العقيدة أولاً؛ لأنها هي التي تدفع العبد إلى الطاعات والأعمال الصالحة، فالعقيدة هنا بمثابة المُحَرِّك الذي يحرك الإنسان إلى العمل الصالح.

إخوة الإسلام! الإنسان حين يؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، ويعتقد أن الله ﷻ خلقه في هذه الدنيا لعبادته، ويعتقد أنه من هذه الدنيا راحل إلى ربه، ويعتقد أنه واقف بين يدي ربه يوم القيامة، ويعتقد أن الله سائله عن كل شيءٍ، ويعتقد أن الوزن يوم القيامة عند ربك هو الحق، ويعتقد أن الناس يوم القيامة فريقان: فريق في الجنة وفريق في السعير، ويعتقد أن حسنةً واحدة تكون سبباً لسعادة العبدِ، ويعتقد أن سيئة واحدة تكون سبباً في شقاء العبد يوم القيامة، تدفعه هذه العقيدة إلى العمل الصالح بالليل والنهار، ولذلك قال بعض الصالحين: لو أخبرتُ أن غداً الساعة ما استطعت أن أزيد على ما أنا فيه شيئاً. دليلٌ على أنه يتقدم إلى ربه بالأعمال الصالحة بكل ما يستطيع، ورسولنا ﷺ يقول: «**بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليلِ المُظلم، يُصبحُ الرَّجلُ مؤمناً ويُمسي كافراً، أو يُمسي مؤمناً ويُصبح كافراً، يبيعُ**

دينَهُ بعَرَضٍ منَ الدُّنيا»[(١)].

بادروا بالأعمال الصالحة فتناً؛ وها هي الفتن قد ظهرت، وإننا لنسمع عن أُناس يؤمنون في الصباح، ويرتدُّون في المساء، ويؤمنون في المساء، ويرتدُّون في الصباح، يبيع أحدهم دينه بخمسة دنانير.

إخوة الإسلام! العقيدة أولاً؛ لأنها تدفع إلى العمل الصالح وبالمثال يتضح البيان؛ فتعالوا يا عباد الله معي لنرى كيف تفعل العقيدة الصحيحة بأصحابها؟.

أولاً: بالنسبة للصلاة المكتوبة:

انظروا إلى أحوال المسلمين مع الصلاة الآن لتروا أثر ضعف العقيدة؛ فإن الله أمرنا في كتابه بالمحافظة على الصلاة فقال ـ تعالى ـ: ﴿حَـٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨].

وسُئل ﷺ أي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال: «**الصلاةُ على وقتها**»[(٢)].

فسمع هذا الكلام أصحاب المصطفى ﷺ، والمسلمون الآن يسمعون هذا الكلام، ولكن انظروا إلى العقيدة الصحيحة ماذا تفعل بأصحابها؟.

قال أحد الصحابة، وهو عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (من سَرَّه أن يلقى الله تعالى غداً مسلماً ـ أي: من سرّه أن يموت على الإسلام، ويبعث يوم القيامة على الإسلام ـ، فليحافظ على هؤلاء الصلوات حيث يُنادى بهنَّ ـ أي: في المساجد ـ، فإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، وإنهنَّ ـ أي: الصلوات الخمس ـ من سنن الهُدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يُصلِّي هذا المتخلفُ في بيتهِ لتركتُم سُنَّةَ نبيكم، ولو تَركتُم سُنّةَ نبيكم لَضَلَلْتُم، وما من رجل يتطهر فيحسن الطهور ثم يعمد إلى مسجد من هذه المساجد إلا كتب الله له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط عنه بها سيئة، وَلَقَدْ رأيتنا وما يتخلّف عنها ـ أي: عن صلاة

---

(١) **صحيح**: م: (١١٨).

(٢) **صحيح**: خ: (٥٠٤)، م: (٨٥).

الجماعة ـ إلا منافقٌ معلومُ النفاقِ، ولقد كان الرجلُ يُؤتى به يُهادى بين الرجلين ـ أي: يسند بين الرجلين ـ حَتَّى يُقامَ في الصفِّ)[١].

إخوة الإسلام! بدون تعليق انظروا إلى العقيدة التي جعلت هذا المريض يُؤتى به يُهادى بين الرجلين حتى يقام في الصف، وانظروا إلى المسلمين الآن ماذا يصنعون في الصلوات لتعلموا أنها العقيدة.

واستمعوا الآن إلى أُبيٍّ بن كعب رضي الله عنه حيث يقول: (كانَ رجلٌ لا أعلمُ رجلاً أبعدَ من المسجد منه وكان لا تخطئه صلاة ـ أي: لا تفوته صلاة خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قال: فقيل له، ـ أو قلتُ له ـ: لو اشتريت حماراً تركبهُ في الظلماءِ وفي الرمضاءِ. قال: ما يَسُرُّنِي أن منزلي إلى جنبِ المسجدِ! إني أريدُ أن يُكتبَ لي ممشايَ إلى المسجدِ وَرُجُوعي إذا رجعتُ إلى أهلي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**قد جمع اللّهُ لَكَ ذلك كُلّهُ**»)[٢]، إنها العقيدة!.

يأتي إلى المسجد وهو يعتقد أن الله يرفعه بكل خطوة درجة في الجنة، وأنه كلما غدا إلى المسجد، أو راح أعدّ الله له في الجنة نُزُلاً كلما غدا أو راح، فأين نحن الآن يا عباد الله؟!.

إذاً عقيدة صحيحة تدفع صاحبها إلى الصلاة في المسجد، وعقيدة ضعيفة يُضيِّع صاحبها الصلاة؛ أي: يصلي في البيت.

فأصحاب العقيدة الفاسدة تراهم إذا جاؤوا إلى الصلاة جاؤوا كُسَالى ﴿وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ﴾ [التوبة: ٥٤]، ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ لـمَ؟ ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ ـ يصلون من أجل الناس ـ ﴿وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

ثانياً: قيام الليل:

انظروا إلى العقيدة كيف تحرّك أصحابها إلى العمل الصالح،

---

(١) **صحيح**: م: (٦٥٤).
(٢) **صحيح**: م: (٦٦٣).

يقول ﷺ: «**يا أيُّها الناسُ! أفشوا السلام، وأطعموا الطعامَ، وصِلوا الأرحامَ، وصلّوا بالليلِ والناسُ نيامٌ، تدخلوا الجنة بسلام**»[(١)].

أصحاب المصطفى ﷺ أخذوا هذا الكلام عقيدةً في قلوبهم فقاموا الليل ولم يناموا إلا قليلاً، يقول ربنا ـ جلَّ وعلا ـ في وصفهم: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝١٧﴾ [الذاريات: ١٧].

وقال ـ تعالى ـ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝١٦﴾ [السجدة: ١٦]، كيف يبيتون لربهم؟ ﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٤] ماذا يريدون؟ ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ۝٦٥﴾ [الفرقان: ٦٥] يخافون من الله ويريدون الجنة.

انظروا إلى حال هؤلاء، وانظروا إلى أحوالنا الآن!!.

فهذا صُهيب الرومي، لا ينام من الليل إلا قليلاً، يتقلب على فراشه كما يتقلب العصفور في المقلى، تقول له زوجته: (يا صهيب، اتق الله ونم قليلاً فقد جعل الله الليل سكناً، يقول لها: نعم، الليل سكنٌ لكل الناس إلا لصهيب. تقول له: ولِمَ؟ فيقول لها: إذا تذكرت الجنة وما فيها من النعيم طار نومي شوقاً لها، وإذا تذكرت النار وما فيها من العذاب الأليم طار قلبي خوفاً منها فلا أنام).

قال ـ تعالى ـ: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٩﴾ [الزمر: ٩].

ثالثاً: بالنسبة للجهاد في سبيل الله:

إن الذين يتكلمون عن الجهاد كثيرون، والذين يعتقدون الجهاد قليلون.

---

(١) **صحيح**: هـ: (٣٢٥١)، حم: (٥/ ٤٥١)، مي: (١٤٦٠)، ك: (٣/ ١٤)، [«ص.ج» (٧٨٦٥)].

أمة الإسلام! ليس كل من تكلم عن الجهاد فهو محبٌ للجهاد، وليس كل من تكلم عن الجهاد يفهم معنى الجهاد، فالذين باعوا أنفسهم وأموالهم لله هم أصحاب العقيدة الصحيحة.

قال ـ تعالى ـ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١].

فالذي اشترى هو الله، والذي باع هو المؤمن الصادق، فالمؤمنون الصادقون يقاتلون في سبيل الله، ولا يقاتلون في سبيل الحزب، ولا يقاتلون في سبيل الجماعة، ولا يقاتلون حميّةً ولا شجاعةً ولا رياءً ولا سمعةً إنما يقاتلون في سبيل الله لإعلاء كلمة الله.

اسمعوا ـ يا عباد الله ـ أَنباءَ الذين تربّوا على العقيدة الصحيحة كيف باعوا أنفسهم وأموالهم رخيصة في سبيل الله، يقول أنس بن مالك رضي الله عنه: (غاب عمِّي أنس بن النضر رضي الله عنه عن قتال بدر، فقال: يا رسول الله غبتُ عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين لَيُرينَّ اللّهُ ما أصنعُ! فلما كان يوم أُحد وانكشف المسلمون، قال أنس بن النضر: اللّهم إني أعتذرُ إليكَ مما صنعَ هؤلاء ـ يعني أصحابه ـ، وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ـ يعني المشركين ـ، ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ، فقال: يا سعد بن معاذ، الجنة ورب النضر إني أجد ريحها من دون أُحدٍ، قال سعدٌ: فما استطعت يا رسول الله ما صنع، قال أنس بن مالك: فوجدنا به بضعاً وثمانين ضربةً بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم، وجدناه قد قُتِلَ وقد مَثَّل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخته ببنانِه، يقول أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه)[(١)].

---

(١) **صحيح**: خ: (٢٦٥١).

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْـهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب: ٢٣] إنها العقيدة أولاً.

إخوة الإسلام! وهذا أعرابي جاء إلى النبي ﷺ فآمن به واتبعه ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبي ﷺ بعض أصحابه، فلما كانت غزوة غنم النبي ﷺ سبياً فقسم وقسم له: فأعطى أصحابه ما قسم له وكان يرعى ظهرهم، فلما جاء دفعوه إليه فقال: ما هذا؟ قالوا: قسم قسمه لك النبي ﷺ، فأخذه فجاء به إلى النبي ﷺ فقال: ما هذا؟ قال: «**قسمته لك**» قال: ما على هذا اتبعتك ولكني اتبعتك على أن أرمى إلى ها هنا ـ وأشار إلى حلقه ـ بسهم فأموت فأدخل الجنة، فقال: «**إن تصدق الله يصدقك**»، فلبثوا قليلاً ثم نهضوا في قتال العدو، فأتي به النبي ﷺ يحمل قد أصابه سهم حيث أشار فقال ﷺ: «**أهو هو؟**» قالوا: نعم، قال: «**صدقَ اللَّهَ فصدَقَهُ**»، ثم كفنه النبي ﷺ في جبته، ثم قدمه فصلى عليه، فكان فيما ظهر من صلاته: «**اللّهم هذا عبدك خرج مهاجراً في سبيلك فقُتِلَ شهيداً، أنا شهيدٌ على ذلك**»[1] إنها العقيدة. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٠﴾﴾ [النساء: ١٠٠].

وهذا حنظلة يا عباد الله! تعرفونه يا أمة الإسلام؟! غسيل الملائكة كان عروساً ليلة يوم أُحد فصلى الفجر خلف رسول الله ﷺ، ثم رجع إلى بيته ونام مع عروسه، ونودي للجهاد في سبيل الله فخرج من بيته بسيفه للجهاد وهو جُنب فقاتل وقُتِلَ، فرآه الرسول ﷺ تُغسِّله الملائكة بين السماء والأرض فقال لأصحابه: «**اسألوا أهله ما شأنه؟**» قالت: كان جنباً فلما سمع النداء للجهاد خرج وهو جنب، ورأى أنه لو تأخر حتى يغتسل من الجنابة لعدّ ذلك تخلُّفاً عن الجهاد. يقول ﷺ: «**لذلك غسلته**

(١) صحيح: ن: (١٩٥٣)، ك: (٣/ ٦٨٨)، طب: (٧/ ٢٧١)، [«ص.غ.هـ» (١٣٣٦)].

الملائكة»(١)، إنها العقيدة، لم يصبر حتى يغتسل من الجنابة!. نعم، وهذا رجل آخر يوم أُحُدْ يأكل تمرات بيده يقول: (أين أنا يا رسول الله، إن قُتلتْ؟ قال: «**في الجنة**»، فألقى تمرات كُنَّ في يده، ثم قاتل حتى قُتل)(٢)، لم يصبر حتى يأكل التمرات ـ إنها العقيدة ـ. فهل الذين يأكلون الربا يجاهدون في سبيل الله؟! أم الذين ينظرون إلى المفسديون يجاهدون في سبيل الله؟! أم الذين خرجت نساؤهم متبرجات يجاهدون في سبيل الله؟!.

عباد الله! هل أتاكم نبأُ الثلاثة الذين جاؤوا إلى رسول الله وهم فقراء فقالوا: يا رسول الله احملنا؛ أي: جهّزنا للجهاد في سبيل الله. فقال ﷺ: «**والله لا أجد ما أحمِلكُم عليه**» فرجعوا وهم يبكون حتى جهزهم بعض الصحابة رضوان الله عليهم، وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [التوبة: ٩٢].

وإذا نظرنا إلى أمتنا الإسلامية الآن وجدناها في غفلة عن الأعمال الصالحة، وذلك يدلُّ على ضعف في العقيدة، فيجب على كل مسلم ويجب على الدعاة أن يهتموا بالعقيدة أولاً قبل أن يضيعوا الأوقات والجهود فيما لا ثمرة فيه.

فالعقيدة تدفع إلى الأعمال الصالحة، والأعمال الصالحة سبب لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة. قال ـ تعالى ـ مبيناً أن العمل الصالح سبب للحياة الطيبة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]، إذن أعمال صالحة؛ حياة طيبة. أعمال سيئة؛ حياة كلها

---

(١) **حسن**: حب: (١٥/ ٤٩٥)، ك: (٣/ ٢٢٥)، هق: (٤/ ١٥)، حل: (١/ ٣٥٧)، [«س.ص» (٣٢٦)].

(٢) **صحيح**: م: (١٨٩٩).

نكد وضنك، فالذي يعيش في نكد وضنك فلا يلومن إلا نفسه!.

الأعمال الصالحة...

ولتعلم أن الأعمال الصالحة سبب للفوز بالجنة. قال ـ تعالى ـ: ﴿**وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ١٢٤**﴾ [النساء: ١٢٤].

وأن الأعمال الصالحة سبب للتمكين في الأرض، فإلى الذين يريدون دولة الإسلام، وإلى الذين يريدون العزة والسيادة، نقول لهم: دولة مسلمة تقوم بعمل صالح وعقيدةٍ صحيحةٍ، أما قيام دولة مسلمة على آكِل الربا وعلى نساء متبرجات وعلى قوم لا يؤدون الصلاة؛ بل يحافظون على أفلام المفسديون، وتراهم في السينما ودور اللهو أكثر من المساجد، فهذا من المحال.

قال ـ تعالى ـ: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ٥٥﴾ [النور: ٥٥].

إخوة الإسلام![١] وأُذكِّر ـ والذكرى تنفع المؤمنين ـ بالإكثار من الأعمال الصالحة والمسارعة إليها في العشر الأوائل من ذي الحجة، ـ وها هي تقبل علينا بعد أيام ـ يقول ﷺ: «**ما من أيام العمل الصالح فيها أحبُ إلى الله من هذه الأيام**».

ـ يعني العشر من ذي الحجة ـ قالوا: يا رسول الله! ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «**ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء**»[٢]. فلا تحرموا أنفسكم من العمل الصالح في هذه

(١) هذه الخطبة كانت قبل قدوم أيام ذي الحجة بقليل.

(٢) **صحيح**: د: (٢٤٣٨)، ت: (٧٥٧)، هـ: (١٧٢٧)، حم: (١/ ٢٢٤)، طب: (١٢/ ٤٨)، [«ص.غ.هـ» (١٢٤٨)].

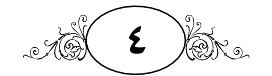
الأيام من صلاة وصيام وإنفاق في سبيل الله، صوموا هذه الأيام إلا ما نُهِيَ عنها، صوموا يوماً وأفطروا يوماً، صوموا الاثنين والخميس. ولا تحرم نفسك ـ يا عبد الله ـ من صيام عرفة فإنه يُكفر ذنوب سنتين الماضية والقابلة، ولا تحرموا أنفسكم من ذبح الأضاحي في يوم العيد، وفي أيام التشريق الثلاثة، ولا تلتفتوا إلى هؤلاء الذين يطلبون منكم ثمن الأُضحية فيوزعونه على الفقراء!؛ نقول: لأن العبرة من الأضحية سفك الدماء، والأجر عند الله أنك تذبح هذه الأضحية تقرباً إلى الله، ومن أراد منكم أن يضحّي ـ يا عباد الله ـ فليمسك عن شعره وقص أظافره من بداية الشهر.

وأنت ـ يا عبد الله ـ في دار العمل وغداً الحساب، والموت يأتي بغتة، فسارعوا إلى الأعمال الصالحة، فقد يصلي أحدنا اليوم ويكون في الجمعة القادمة تحت الثرى.

نسير إلى الآجال في كل لحظة ... وأيامنا تطوى وهن مراحل
ولم أرَ مثل الموت حقاً كأنه ... إذا ما تخطته الأماني باطل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى ... فعمرك أيام وهن مراحلُ

أسأل الله أن يتوفنا وإياكم على الإسلام، وأن يلحقنا بالصالحين





لماذا العقيدة أَولاً؟

عباد الله!

لا زلنا نجيب عن هذا السؤال: لماذا العقيدة أولاً؟.

قلنا في الجمعة الماضية: العقيدة أولاً؛ لأنها هي التي تدفع العبد إلى فعل الطاعات، وإلى المسارعة إلى الأعمال الصالحات.

ونقول في هذا اليوم ـ إن شاء الله تعالى ـ: العقيدة أولاً؛ لأنها تمنع العبد من فعل المعاصي.

إخوة الإسلام! هناك علاقة بين المعاصي والذنوب وبين ضعف العقيدة؛ أي: أننا إذا نظرنا إلى مجتمع ما، ووجدناه مُلِءَ بالمعاصي والذنوب: فوجدنا الربا والزنا والتبرج كَثُرَ فيه، فهذا يدل على ضعف العقيدة في قلوب العباد، فالعقيدة إذا تمكنت ورسخت في القلوب وتغلغلت في أعماق النفس حالت بين العبد وبين اقتراف المعصية.

قال ـ تعالى ـ: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٥﴾ [الأنعام: ١٥] فالذي منعهُ من اقتراف المعصية ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ وهذه هي العقيدة، عقيدة في القلب بالله واليوم الآخر تمنع صاحبها من اقتراف المعاصي، فصاحب العقيدة السليمة إذا دُفعت له الرشوة رفضها، لماذا؟ ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، وإذا هَمَّ بالزنا تركه، لماذا؟ ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

أما إذا ضعفت العقيدة وغابت من القلوب كثرت المعاصي. قال ـ تعالى ـ: ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝٦﴾

[القيامة: ٥، ٦] (يريد الإنسان أن يفجر): يريد الإنسان أن يقترف المعاصي فينسى أو يتناسىٰ يوم القيامة، ولذلك تراه يرتشي ويزني ويأكل الربا ويسرق، فإذا قلت له: اتق الله! واتق يوماً ترجع فيه إلى الله! قال: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾.

ولذلك ربط ﷺ بين ضعف العقيدة والمعاصي فقال ﷺ: «**لا يزني العبد حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرقُ حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشربُ الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يقتل وهو مؤمن**»(١).

يقترف الكبائر لأن العقيدة ضعفت عنده فغاب عنه نور الإيمان، ولا نكفّره بارتكاب هذه الكبائر، لا؛ فنحن لا نكفّر أحداً من أهل القبلة بذنبٍ ما لم يستحلّه. أما إذا استحلّ الزنا والربا وشُرْبَ الخمر كفر وخرج عن الإسلام بالكلية.

إخوة الإسلام! أريد أن يفهم الجميع على كل المستويات أن المعاصي كثرت في المجتمع بسبب ضعف العقيدة.

أمة التوحيد! العقيدة الصحيحة إذا تمكنت من القلب وفكر صاحبها في المعصية، منعته من اقتراف المعصية، فالله ﷻ وصف عباده أصحاب العقيدة الصحيحة في كتابه: أنهم إذا فكروا في المعصية تذكروا بما يحملون في قلوبهم من عقيدة سليمة فرجعوا عن المعصية.

قال ـ تعالى ـ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَـٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١] ماذا تذكّروا؟ الموت، تذكّروا القبر، تذكّروا الميزان، تذكّروا يوم القيامة، تذكّروا الوقوف بين يدي الله، تذكّروا الجنة والنار فرجعوا عن المعصية.

وبالمثال يتضح البيان:

* الثلاثة الذين دخلوا الغار وسَدّت الصخرة عليهم باب الغار،

---

(١) **صحيح**: خ: (٦٤٢٤).

«**فقالوا: إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم** ـ علموا أنه لا ينجي في الكروب إلا الله، وعلموا أنه لا يجيب المضطر إذا دعاه إلا الله، ما قالوا: يا سيدي فلان، أو يا ولي الله ولكن! انظروا إلى العقيدة حيث قالوا: لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله بصالح أعمالكم ـ الشاهد: أن أحدهم ترك الزنا بعدما تمكن منه بسبب العقيدة ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ ـ قال أحدهم: **اللّهم! كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إلي فأردتها عن نفسها فامتنعت مني حتى ألمّت بها سنة من السنين** ـ أي: أصابها الفقر والحاجة ـ، **فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلي بيني وبين نفسها ففعلت** ـ يقول: ـ **حتى إذا قدرت عليها قالت: لا أحل لك أن تفضَّ الخاتم إلا بحقه.** ـ أي: بالزواج الشرعي، فذكرته بالله فتذكر ـ يقول: **فتحرجتُ من الوقوع عليها فانصرفت عنها وهي أحب الناس إليّ، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللّهم إن كنت فعلت** ـ أي: تركت الزنا والمال ـ **ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة**»[(١)]، دلّ على أن الله تقبل منه هذا العمل. الشاهد: أنه عندما ذُكِّر تَذَكَّر، لماذا؟ لأنه يخاف إن عصى الله عذابَ يومٍ عظيمٍ، فالعقيدة منعته من الزنا.

❋ أما سمعتم عن هذا المجرم الذي اختطف فتاة صغيرة وذهب بها بعيداً عن أعين الناس ﴿يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسۡتَخۡفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمۡ إِذۡ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرۡضَىٰ مِنَ ٱلۡقَوۡلِۚ﴾ [النساء: ١٠٨] الفتاة الصغيرة تبكي بين يديه فلم يرحمها! تذكره بالله فلم يذَّكَّر! تستحلفه بالله أن يردها إلى أهلها فلم يفعل! ثم ماذا زنى بها وقتلها[(٢)]! هل هذا إنسان؟! هل هذا يخاف الله؟! أظنه لا يخاف الله ولا الناس، ولا يؤمن بالله، الإيمانَ الذي يمنعه مِن ارتكاب المعصية، وأظن أنه نسي أنه إلى الله راجع!! فانظر الفرق: هذا

---

(١) **صحيح**: خ: (٢١٥٢).

(٢) جرت هذه الحادثة في مثل هذا الوقت، رجل خطف فتاة صغيرة ثم زنىٰ بها وقتلها.

ذُكِّر فَتَذَكَّر. وأما هذا المجرم فقد ذكّرته الفتاة فلم يتذكر!! إذن؛ العقيدة أولاً....

* **يوسف** عليه السلام في بيت العزيز، امرأة العزيز راودته عن نفسه، وغلَّقت الأبواب وقالت: هيت لك، فماذا قال يوسف؟ قال: معاذ الله! وقال: ﴿رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣] السجن!! يعيش مع المساجين بعد القصور ولا يزني! نعم؛ إنها العقيدة....

* **ٱبنا آدم**: تقرأون عنهما في كتاب الله؛ تقرَّبا بقربان إلى الله فتقبل الله من صاحب العقيدة السليمة ولم يتقبل من الآخر، قال صاحب العقيدة الفاسدة: لأقتلنَّك، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَيْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ [المائدة: ٢٧].

قال صاحب العقيدة السليمة: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المائدة: ٢٧، ٢٨] تريدون أن يغيب القتل عن المجتمع فعلِّموا الناس العقيدة، تريدون أن يغيب الزنا عن المجتمع فعلِّموا الناس العقيدة....

إخوة الإسلام! العقيدة الصحيحة تدفع العبد إذا وقع في المعصية إلى أن يبادر بالتوبة إلى الله، وصف لنا ربنا ـ جل وعلا ـ عباده أصحاب العقيدة السليمة بأنهم إذا فعلوا فاحشة أو وقعوا في معصية تابوا وأنابوا إلى الله، قال ـ تعالى ـ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦]، فالعقيدة تدفع إلى التوبة، وليس أحد معصوماً من المعصية إلا الأنبياء.

* **آدم وحواء** نهاهما الله عز وجل عن الأكل من تلك الشجرة فأكل آدم ناسياً، فناداهما ربهما: ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا

عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٢، ٢٣].

إخوة الإسلام! المعاصي تغيب في ظل العقيدة، وإذا غاب القتل والزنا عن المجتمع عاش الفرد والمجتمع في أمنٍ وأمان، والله الذي لا إله غيره ولا رب سواه! لو أن دولة كاملة بكل شعبها أصبحت أمناً وشُرطة لم يكن هناك أمنٌ ولا أمان إلا في ظل العقيدة الصحيحة؛ يقول ربنا ـ جل وعلا ـ على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨١، ٨٢] الذين آمنوا: أصحاب العقيدة السليمة هم الذين يستحقون الأمن والأمان.

إخوة الإسلام! تعالوا بنا الآن واسمعوا وعوا عني ليتبين للجميع، وللذين يتعجلون: أنها العقيدة أولاً. بُعِثَ ﷺ للناس في مكة وأرض العرب في الشمال تحت سيطرة الرومان، وفي الجنوب تحت سيطرة الفرس، فلو أعلنها ﷺ وطنية ورفعها راية وطنية لتحرير الأرض من الاستعمار لاجتمع حوله الكثير، ولكنه لم يفعل فانتبهوا يا عباد الله!.

بُعِثَ ﷺ في مكة والمجتمع العربي أسوأُ ما يكون إضاعةً للثروة وللعدالة، فلو رفعها ﷺ راية اجتماعية لتحسين الأوضاع لالتف حوله الجميع، لماذا؟ لأنه كان قلة قليلة من الناس هم الذين يملكون المال والشرف، والكثرةُ الكثيرة مستعبدون فقراء، ولكنه لم يفعل.

بُعِثَ ﷺ في الناس وهم يشربون الخمر ويأكلون الربا ويزنون ويقتل بعضهم بعضاً، فلو رفعها راية إصلاحية لإصلاح الأخلاق لالتفَّ حوله الجميع، ولكنه لم يفعل؛ بل بدأ بالعقيدة أولاً وهي أصعب ما يكون.

فإلى الذين يتعجلون فيسلكون طريقاً يريدون من خلاله دولة الإسلام، ثم بعد ذلك يأمرون بالعقيدة وتحسين الأوضاع، نقول لهم: هل أنتم على

سنّةٍ في الدعوة إلى الله أهدى مِنْ سنّة رسول الله ﷺ؟! فلم يعلنها راية وطنية لتحرير الأرض، ولم يعلنها راية اجتماعية لتحسين الأوضاع، ولم يعلنها راية إصلاحية للقضاء على الفساد؛ بل قال: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

والقرآن المكي طوال ثلاثة عشر عاماً ينزل على الناس في مكة بالعقيدة أولاً، ورسولنا ﷺ طيلة هذه المدة يدعو الناس إلى (لا إله إلا الله)، لماذا؟ لأنه إذا رسخت العقيدة في القلوب أولاً حُلَّتْ المشاكل، بعدها يقول الإنسان: سمعنا وأطعنا، إذا أُمِرَ أوْ نُهِيَ قال: سمعنا وأطعنا، كما قال ربنا ـ جل وعلا ـ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١].

انظروا يا عباد الله إلى الجيل الأول، إلى رجال الإسلام، أمرهم الله أن يهاجروا من مكة قالوا: سمعنا وأطعنا، تركوا الديار، تركوا الأولاد، تركوا الأموال، سمعنا وأطعنا لما هاجروا إلى المدينة ونزلت الأحكام ونزلت الآية التي تحرم الخمر: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١]، قالوا: انتهينا ربنا.

إنه المنادي ينادي: إن الله حرم عليكم الخمر، فقالوا جميعاً بلا استثناء: انتهينا ربنا، وأخرجوا الخمور من بيوتهم وأَراقوها في شوارع المدينة! إنها العقيدة أولاً.

بل كان أحدهم إذا اقترف المعصية جاء إلى رسول الله ﷺ وأعلن وقال: يا رسول الله، أصبت حدّاً فطهّرني، وهذه امرأة زنت على عهد رسول الله ﷺ فجاءت وهي حُبلى من الزنا، قالت: يا رسول الله أصبت حدّاً فطهّرني، فدعا وليها فأمره أن يحسن إليها حتى تضع، فلما وضعت جاءت إلى رسول الله، والعقيدة في قلبها تخاف من عذاب الله، وتعلم أن

عذاب الآخرة أكبر من عذاب الدنيا: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٢٦]، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْأَخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾ [فصلت: ١٦]، فأمر رسول الله ﷺ بها فشدت ثيابها ثم أمر بها فرُجمت.

أقام عليها حدّ الله ثم صلَّى عليها فتعجب عمر وقال: تُصلّي عليها يا نبيّ الله! وقد زنت؟ قال ﷺ: «**لقد تابت توبة لو قُسِّمت على سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى؟!!**»[1]. إنها العقيدة أولاً . . .

إخوة الإسلام! هذه امرأة تقول لابنتها: اخلطي اللبن بالماء ـ وأنتم تعرفون ذلك وتسمعونه ـ تأمرها بالغش، تريد أن تبيع ذلك للناس، فقالت الفتاة التي تحمل في قلبها عقيدةً سليمةً: يا أماه ألا تخافين من عمر!! تقول الأم: وهل يرانا عمر؟! فقالت الفتاة صاحبة العقيدة السليمة: يا أماه! إذا كان عمر لا يرانا فربُّ عمر يرانا!! عقيدة تعمر القلبَ أينما كان، رقابة داخلية، لا يخاف إلا من الله، يعمل لله، ويترك المعصية لله: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾، كم تستريح الأمةُ إذا رسخت العقيدة! كم يطهر المجتمع إذا رسخت العقيدة! أين تذهب؟! أنت على أرض الله وتحت سماء الله؟! إذا أردت أن تعصي الله فابحث عن أرض غير هذه الأرض، وعن سماء غير هذه السماء! ولن تجد؛ لأنك عبد ولك رب، فلا تَعْصِ الله.

هذا رجل يراود الأعرابية في الصحراء عن نفسها فيقول لها: لا يرانا أحدٌ إلا الكواكب، تقول الأعرابية التي تعيش في الصحراء ـ الأعرابية التي لا تحمل شهادة الدكتوراه ـ تقول: ويحكَ!! وأين رب الكواكب؟! عبدَ الله! أما ثبت لديكم الآن أنها إذا رسخت العقيدة في القلوب حُلَّتْ المشاكل؟!.

---

(١) **صحيح**: انظر القصة كاملة كما في: م: (١٦٩٦).

فالمرتشي لا يرتشي، والسارق لا يسرق، لسان حال الجميع: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾.

إخوة الإسلام! الله مُطَّلعٌ علينا، استوى على عرشه استواءً يليق بجلاله وهو معنا أينما كنا؛ قال ـ تعالى ـ: ﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ وَلَآ أَدۡنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمۡ أَيۡنَ مَا كَانُواْۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ٧﴾ [المجادلة: ٧].

أتزني وأنت تعلم أن الله مطلعٌ عليك؟! أتأخذ الرشوة وأنت تعلم أن الله يراك؟!

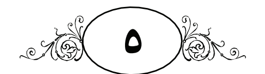
ولله در القائل:

إذا ما خلوتَ الدهرَ يوماً فلا تَقُلْ خلوتُ ولكن قلْ: عليَّ رقيبُ
ولا تحسبن اللّهَ يغفُلُ ساعةً ولا أن ما يخفى عليه يغيبُ

ابن آدم، العقيدة أولاً؛ تمنع من المعاصي، تحول بينك وبين المعصية، فتسعد في الدنيا والآخرة. اللّهم قد بلغت، اللّهم فاشهد! اللّهم قد بلغت، اللّهم فاشهد!....

اللّهم رُدَّ المسلمين إلى دينك ردّاً جميلاً!
اللّهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه،
وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه

* * *



أثرُ العقيدة الصحيحة على العبد عند الموت وفي الدار الآخرة

عباد الله!

قلنا في الجُمَع الماضية: العقيدة أولاً؛ لأن سعادة العبد في الحياة الدنيا تتوقف على العقيدة الصحيحة، ونقول ـ إن شاء الله تعالى ـ في هذا اليوم: العقيدة أولاً؛ لأن سعادة العبد في الدار الآخرة أيضاً تتوقف على العقيدة الصحيحة.

عباد الله! حديثنا إليكم في هذا اليوم عن أثرِ العقيدة الصحيحة على العبد في الدار الآخرة؛ ليتبين لكم ـ يا أمة الإسلام ـ أن سعادة العبد في الحياة الدنيا والآخرة تتوقف على العقيدة الصحيحة، والحياة الآخرة للعبد تبدأ من الموت، وحتى يسكن إما في الجنة وإما في النار.

إخوة الإسلام! تعالوا وانظروا إلى العقيدة الصحيحة ماذا تفعل بأصحابها عند الموت؟ عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**من مات يشرك بالله شيئاً دخل النار**». وقلت: أنا ـ يعني ابن عمر ـ (من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة)[1]؛ أي: من مات على التوحيد على العقيدة الصحيحة دخل الجنة، «**ومن مات يشرك بالله**»؛ أي: مَنْ مات على الشرك على عقيدة فاسدة دخل النار، فأصحاب العقيدة الصحيحة إذا نزل بهم الموت نزلت عليهم ملائكة من السماء تبشّرهم بجنة عرضها السمٰوات والأرض تقول لهم: لا تخافوا ولا تحزنوا، كما أخبر بذلك ربنا ـ جل وعلا ـ

(١) **صحيح**: خ: (١١٨١)، م: (٩٢).

في كتابه فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ ـ ٣٢].

هذه حال أصحاب العقيدة الصحيحة تتنزل عليهم الملائكة عند سكرات الموت، وهم الذين يثبتهم ربهم بالقول الثابت فيخرجون من الدنيا وهم يقولون: لا إله إلا الله، والرسول ﷺ يقول: «**من كان آخر كلامِه لا إله إلَّا الله دخل الجنة**»[(١)]؛ أي: من نطق بـ(لا إله إلَّا الله) ـ عقيدة صحيحة ـ، ومات على ذلك دخل الجنة.

أما أصحاب العقيدة الفاسدة؛ فإذا نزل بساحتهم الموت نزلت عليهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم، ولا يستطيعون أبداً مهما كانوا أن يقولوا عند سكرات الموت: لا إله إلا الله؛ لأن كلمة التوحيد لا تخرج من فم إنسان إلا أن يكون قد قالها في حياته، واعتقدها في قلبه، وعملت بها جوارحه قبل موته. فهذا فرعون عليه لعنة الله، ملأ الأرض فساداً، وقال للناس: أنا ربكم الأعلى، فلما أدركه الغرق حاول المجرم أن يقول: لا إله إلا الله، لينجو من عذاب الله، ولكن هل تخرج كلمة التوحيد من فم الكفرة عند الموت؟! قال ـ تعالى ـ عنه: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [يونس: ٩٠]، يريد أن ينطق بلفظ الجلالة ولكنه لا يخرج من فم الكفرة، فالله ﷻ رد عليه توبته الكاذبة، وقال له: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾﴾ [يونس: ٩١، ٩٢]، فكم من مشرك وكم من كافر

---

(١) **صحيح**: د: (٣١١٦)، ك: (١/٥٠٣)، طب: (٢٠/١١٢)، هب: (١/١٠٨)، [«ص.ج» (٦٤٧٩)].

خرج من الدنيا أمامنا، وهو لا يستطيع أن يقول: لا إله إلا الله!!! إذن؛ فالعقيدة أولاً ليخرج المرءُ من الدنيا على: (لا إله إلا الله).

إخوة الإسلام! انظروا إلى العقيدة وأثرها على صاحبها في القبر، فالإنسان إذا خرج من هذه الدنيا، وحُمل على الأعناق ووضع في قبره وأُهِيْلَ عليه التراب جاءَهُ ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه ويجلسانه ويقولان له: من ربك؟ وما دينك؟ وماذا تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فصاحب العقيدة الصحيحة عندما يقولان له من ربك؟ يقول: ربي الله. ما دينك؟ يقول: ديني الإسلام. ماذا تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ يقول: هو محمد رسول الله ﷺ. نعم؛ ينجح في الامتحان الصعب وهو امتحان شديد عصيب، لا ينجح فيه إلا من مات على (لا إله إلا الله)، قالها بلسانه واعتقدها بقلبه وعملت بها جوارحه.

أما صاحب العقيدة الفاسدة الذي ما نطق لسانه بـ(لا إله إلا الله). أو نطق وما اعتقد بها كالمنافقين، وما عملت جوارحه بـ(لا إله إلا الله)، فإنه إذا وضع في قبره يقال له: من ربك؟ يقول: ها، ها، لا أدري! ما دينك؟ يقول: ها، ها، لا أدري! ماذا تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ يقول: ها، ها، لا أدري! أنسيتم الشاعر الذي كان إذا سئل قال: لا أدري؟ وكذلك أمثاله إذا دخلوا القبر وسئلوا قالوا: لا أدري! لا يعرف! وكيف يدري وهو طوال حياته يركض وراءَ الدنيا وبالليل يعكف على المفسديون؟! ما نام ليلة يبكي لله! ما امتدت يده مرة لله! ما عرف ربه يوماً! ألهته الدنيا وغرته حتى نَزَل به الموت! ودخل القبر وسئل فأخفق في الامتحان.

أمة الإسلام! أعرفتم كيف تنجحون في الامتحان في القبر؟ إنها العقيدة أولاً...

وانظروا ـ يا عباد الله ـ يوم القيامة إذ أنتم في أرض المحشر، حفاةً عراةً غُرلاً، أجسامكم عاريةٌ، أبصاركم خاشعةٌ، قلوبكم واجفةٌ، الشمس على الرؤوس، والعرق يسيل، عندها تتطاير الصحف فآخذٌ بيمينه وآخذٌ

بشماله، أتدرون من الذي يأخذ كتابه بيمينه؟ إنه صاحب العقيدة السليمة، اقرأوا كتاب ربكم: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ١٩ ـ ٢٤].

إني اعتقدتُ أني ملاقٍ حسابيه، اعتقدتُ أني واقف بين يدي الله تعالى.

أما صاحب العقيدة الفاسدة فيأخذ كتابه بشماله. قال ـ تعالى ـ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحاقة: ٢٥ ـ ٣٧]، كان في الدنيا لا يدري ما الحساب ولا الجزاء! يقول: ﴿أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ٦]، عقيدة فاسدة.

عباد الله، والعقيدة أولاً؛ لأنها سببٌ لمغفرة الذنوب.

يقول ربنا ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾﴾ [النساء: ١١٦]؛ أي: إن الله لا يغفر لصاحب العقيدة الفاسدة أبداً، تدعو غير الله في الدنيا وتنتظر أن يغفر الله لك في الآخرة؟! تستغيث بغير الله في الدنيا، وترجو أن يغفر الله لك يوم القيامة؟! تتوكل على غير الله في الدنيا وتتمنى أن يغفر الله لك يوم القيامة؟!

قال ﷺ: «**قال الله تعالى: يا ابنَ آدَمَ، إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثُم استغفرتني غفرتُ لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تُشركُ بي شيئاً لأتيتُك بقُرابها مغفرة**»(١)؛ أي: إذا دعوت فادع الله ـ وهذه عقيدة، فإن المؤمن يعتقد أنه لا يغفر

(١) **حسن لغيره**: ت: (٣٥٤٠)، حم: (٥/١٦٧)، [«ص.غ.هـ» (١٦١٦)].

الذنوب إلا الله ـ أي: لو أتيتني بملء الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقُرابها مغفرة.

يقول ﷺ: «**يُصاحُ برجلٍ من أُمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق فيُنشَرُ له تسعةٌ وتسعونَ سجلّاً كلُّ سجلٍ مدُّ البصر، ثم يقول الله تبارك وتعالى: هل تنكر من هذا شيئاً؟ فيقول: لا يا رب، فيقول: أظلمك كتبتي الحافظون؟ فيقول: لا يا رب، ثم يقول: ألك عُذرٌ؟ ألَكَ حسنةٌ؟ فيهاب الرجل فيقول: لا، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنةً وإنه لا ظُلمَ علَيك اليوم فتُخرجُ له بطاقةٌ فيها: (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله)، فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلمُ، فتوضعُ السجلاتُ في كفةٍ والبطاقةُ في كفةٍ فطاشت السجلاتُ وثقلت البطاقة**»(١).

عقيدة؛ يشهد الرجل أن لا إلهَ إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله من قلبه، ما قالها كما قال المنافقون بألسنتهم ولم تستقر في قلوبهم.

عباد الله! العقيدة الصحيحة مفتاح الجنة: (لا إلهَ إلا الله، محمدٌ رسول الله) مفتاح الجنة.

إخوة الإسلام! العقيدة الصحيحة سبب لسعادة العبد في الدنيا والآخرة.

وقد سمعتم في الجُمَع الماضية واليوم أن سعادة العبد في الدنيا والآخرة بالعقيدة الصحيحة؛ لذلك فالعقيدة أولاً.

وهذا الذي دفعنا أن نتكلم عن العقيدة، ـ وإن شاء الله تعالى ـ إن كان في العُمر بقيةٌ، سنبدأ في الجمعة القادمة بالحديث عن العقيدة بالتفصيل ليتبين لنا جميعاً أن كثيراً من المسلمين ـ وللأسف إلا من رحم

---

(١) **صحيح**: ت: (٢٦٣٩)، هـ: (٤٣٠٠)، حم: (٢/ ٢١٣)، حب: (٢٢٥)، ك: (١/ ٤٦)، [«ص.ج» (٨٠٩٥)].

ربي ـ لا يعرفون العقيدة ولذلك وقعوا فيما حرم الله، من الشرك وغيره بسبب الجهل بالعقيدة.

أسأل الله أن يحيينا على العقيدة الصحيحة وأن يميتنا عليها، وأن يرزقنا التوفيق والسداد

